غزوة تبوك

ودلالة الزمان والمكان

ورقة مقدمة لملتقى تبوك الأول

(الثقافة والتنمية)

الذي نظمه النادي الأدبي بتبوك في الفترة من ١٩-٢٢ / ١١/١٤٢٩هـ

مقدم الورقة

د. عويض العطوي -جامعة تبوك

عضو النادي الأدبي

Dr.ahha1@gmail.com

غزوة تبوك

ودلالة الزمان والمكان

مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فهذه ورقة قدمتها للمشاركة في ملتقى تبوك الأول (الثقافة والتنمية)، الذي ينظمه النادي الأدبي بمنطقة تبوك في الفترة من ١٩- ٢٢/ ١١/١٤٢٩هـ.

وستكون هذه الورقة ضمن المحور الخاص بتاريخ المنطقة وإرثها الحضاري، وعنوانها: (غزوة تبوك ودلالة الزمان والمكان)، لن أتناول الغزوة من حيث أحداثها التسلسلية المعروفة، بل من حيث دلالتَيْ الزمان والمكان فيها، وما احتوياه من أقوال، ووثائق، وأشعار وغير ذلك، مما يمكن أن يشير ويدل على أهمية المكان الذي نتحدث عنه؛ وهو (تبوك)، مع الاستفادة مما يدعم ذلك من إشارات واستنتاجات ترشد إليها الآيات القرآنية، وما جاء تفصيله في السنَّة وكُتُبِ السيرة، ولم أقصد أن تكون هذه الورقة بحثاً أكاديمياً، وإنما أردتها أن تكون إضاءات حول هذه الغزوة، تنبه على أهمية الزمان والمكان، وتحدو لمزيد من الدراسة حول ما اشتملت عليه هذه الغزوة.

أهمية هذا الحدث:

إن الحديث عن غزوة تبوك بالنسبة لمنطقة تبوك هو من الأهمية بمكان كبير، ذلك لأن هذه الغزوة تتميز بالآتي:

١ - أنها شملت مساحة كبيرة من النص القرآني موازنة بغيرها من الغزوات، حيث كادت أن تنفرد لها سورة (التوبة).

٢ - أنها من أعظم الغزوات في العهد النبوي، من حيث حجم الجيش، يقول باشميل: "إن غزوة تبوك هي أعظم غزوة في تاريخ العهد النبوي؛ من حيث كون الجيش الذي قام بها بلغ ثلاثين ألفًا، وهو عدد لم يسبق في تاريخ العهد النبوي وإن اجتمع مثله تحت قيادة النبي ﷺ[(١)]، وكما أن هذه الغزوة هي أعظم حملة عسكرية يقوم بها النبي ﷺ، فإنها آخر عملية

(١) بل قيل: إنه أعظم جيش تألف للعرب، انظر: تاريخ الإنسانية وأبطالها من بدء الخليقة إلى خاتم المرسلين، محمد رضا، (دار الكتب العلمية، بيروت) ٤٤٧.

عسكرية يقوم بها حتى توفاه الله"[1].

٣ - أنها تقابل فتح مكة، إلا أن تلك كانت في داخل الجزيرة، وموجهة إلى العرب، وأما تبوك فكانت موجهة لغير العرب خارج الجزيرة، وهي بهذا تعد الفتح الثاني بعد مكة، حيث توافدت الوفود بعد هذه الغزوة، واستقر أمر الإسلام وعلا شأنه، يقول ابن إسحاق: "لما افتتح رسول الله ﷺ مكة، وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه"، وقد ذكر أن المسلمين جعلوا يبيعون سلاحهم ويقولون انقطع الجهاد، حتى نهاهم عن ذلك النبي ﷺ، وعظنا به وقال: "لا تزال من أمتي يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجال"[2].

٤ - أن اختيار النبي ﷺ هذه البقعة خصوصًا (تبوك) دون غيرها لتكون مقر الجيش، ونقطة تجمعه؛ تدل على أهمية المكان بالنسبة للجزيرة والشام، لذا لم يتجاوزها، ولم يَقْصُر عنها.

٥ - أن أعظم حدث ظهرت بسببه تبوك في كتب التاريخ وعند الكتَّاب والمؤرخين والرحالة هو هذه الغزوة، فلا يذكر أحد تبوك إلا ويشير إلى الغزوة كنوع من التعريف بها.

لهذا كله كانت الغزوة من أهم الأحداث التاريخية المرتبطة بالمنطقة، ولابد من العناية بشأنها من كل الجوانب، وقد رأيت أن أدرسها من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: **دلالة الزمان**.

ويشمل ذلك المطالب التالية:

المطلب الأول: (وقت الغزوة).
المطلب الثاني: (تاريخ الغزوة).
المطلب الثاني: (مدة الغزوة).

المبحث الثاني: **دلالة المكان**.

ويشمل ذلك المطالب التالية:

المطلب الأول: مسافة الغزوة.
المطلب الثاني: موقع الغزوة (تبوك).
المطلب الثالث: الأمكنة المذكورة في الغزوة.

المبحث الثالث:**محتوى الزمان والمكان**.

ويشمل المطالب الآتية:

المطلب الأول: الآيات القرآنية.

---

(١) موسوعة الغزوات الكبرى (غزوة تبوك)، محمد أحمد باشميل، (المكتبة السلفية، القاهر، ط ٣، ١٤٠٨، ١٩٨٨) ص ٥.

(٢) أخرجه ابن سعد ٢ / ١ (١٢٠). وانظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - (ج ٥ / ص ٤٧٠.

المطلب الثاني: الأحاديث النبوية والخطب.
المطلب الثالث: المعاهدات والكتب والرسائل.
المطلب الرابع:. المعجزات والخوارق.
المطلب الخامس: الأحكام الشرعية.
المطلب السادس: الأشعار.
المطلب السابع: البشائر النبوية.
المطلب الثامن: الأعلام.

وسيكون كل ذلك من خلال استحضار النص القرآني الذي تعرض للغزوة، وهو يشمل جُلَّ سورة التوبة كما ذكرت سابقًا، وكذلك النصوص النبوية الكثيرة التي شملت أحداث الغزوة، ومجموع ذلك يبيّن أهمية الغزوة، وهذا ما يدل على أهمية المكان الذي كان مسرحًا لها.

والهدف من كل ذلك هو إبراز أهمية هذا المكان (تبوك) من خلال عرض دلالات تشير إلى ذلك من خلال غزوة العسرة، لأنها الحدث الأعظم في تاريخ هذه البقعة (تبوك)، ولم يظهر ذكرها في التاريخ الإسلامي بصورة واضحة إلاَّ بعد الغزوة، لدرجة أنها أصبحت تعرّف بها بعد ذلك، فيقال: تبوك: هي التي حصلت فيها غزوة العسرة.

الباحث

د. عويض العطوي

عميد الدراسات العليا بجامعة تبوك

Dr.ahha1@gmail.com

المبحث الأول: دلالة الزمان.

لعلنا من خلال تأمل دلالات الزمان والمكان في الغزوة ندرك بعض أسرارها ومعانيها، خصوصا أنها غزوة ارتبطت في القرآن والسنة بكشف فئة المنافقين ذوي الخطر الأكبر على الأمة، وقد تعددت تسمياتها بين الزمان والمكان والمنافقين، فسميت بعين تبوك، وهي العين التي أمر النبي ﷺ ألا يمسوها، ويقال لها غزوة العسرة، لوقوعها في الحر، وجدب الأرض، وعسر الأمر، ويقال لها: الفاضحة؛ لفضحها للمنافقين[1]، وسنحاول إيضاح دلالة الزمان في الغزوة من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: وقت الغزوة.

كانت غزوة تبوك في شهر رجب في سنة تسع من الهجرة، وقد قيل إن انطلاق الجيش كان في يوم الخميس الخامس من رجب[2]، الموافق (سبتمبر، أكتوبر، سنة ٦٣٠م)، "وقد كان هذا الجيش أعظم جيش تألف في العرب"[3].

وإذا أردنا الاسترشاد بإشارات القرآن إلى زمن الغزوة فيمكننا القول إنّ الآيات القرآنية تشير إلى طبيعة الزمان الذي حدثت فيه الغزوة، وذلك من خلال وصفه بـ(ساعة العسرة)، وتوضح السنة تلك العسرة وطبيعتها، حيث حدثت هذه الغزوة وقت اشتداد القيظ، وطيب الثمار، واشتهاء الناس الراحة والظل، وهذا ما تصوره الآيات في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [التوبة: ١١٧].

إن وصف لحظات الغزوة الأولى وزمنها بـ(ساعة العسرة) يختصر كل ما أحاط بذلك الزمن من معوقات ومثبطات نفسية وجسدية وبيئية، ومع هذا كانت الغزوة.

وهذا الإشارة تدل على أهمية المكان الذي تحرك الجيش الإسلامي لقصده، وكذلك أهمية الحدث ذاته، إذ لو لم يكن بهذه الأهمية الكبيرة؛ لما خرج رسول الله ﷺ بالناس في هذه الظروف الصعبة، التي اختزلتها لفظة (العسرة)، يقول البقاعي: "ساعة العسرة: أي أزمنة غزوة تبوك، كانوا في عسرة من الزمان بالجدب والضيقة الشديدة والحر الشديد، وعسرة من الظهر، يعتقب العشرة على بعير واحد، وعسرة من

---

(١) انظر: نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، رفاعة رافع الفهطاوي، تحقيق عبد الرحمن حسن محمود، وفاروق بدر، (مكتبة الأواب، القاهرة) ٢١٣/٢.

(٢) انظر: المواهب اللدنية، للقسطلاني ٦٢٥/١، وحاشية خلاصة سير سيد البشر ﷺ، الطبري، تحقيق د. زهير الخالد (وزارة الأوقاف القطرية، ط٢، ١٤٢٥هـ) ٣٥٠/١.

(٣) تاريخ الإنسانية وأبطالها من بدء الخليقة إلى خاتم المرسلين، محمد رضا، (دار الكتب العلمية، بيروت) ٤٤٧.

الزاد، تزودوا التمر المدوّد، والشعير المسوّس، والإهالة الزنخة، وبلغت بهم الشدة أن اقتسم التمر اثنان، وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء، وفي عسرة من الماء حتى نحروا الإبل واعتصروا فروثها؛ وسماها (ساعة) تهويناً لأوقات الكروب وتشجيعاً على مواقعة المكاره؛ فإن أمدها يسير وأجرها عظيم خطير"[1].

وجاء عند الحاكم، وصححه أن ابن عباس قال لعمر بن الخطاب: حدثنا من شأن ساعة العسرة، فقال عمر: "خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد"[2].

والكلمة ذاتها تشعر بالصعوبة والمشقة، وما يدل على ارتباط ذلك بالزمن بوجه خاص ذكر الساعة معها، يقول ابن عاشور:" والساعة: الحصة من الزمن، والعسرة: اسم العسر، زيدت فيه التاء للمبالغة وهي الشدة، وساعة العسرة هي زمن استنفار النبي ﷺ الناس إلى غزوة تبوك، فهو الذي تقدمت الإشارة إليه بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ**﴾ [التوبة: ٣٨]"[3].

ومما تشير إليه مفردة الزمن هنا (ساعة) التحديد والتعيين، كما يقول الألوسي:" (في ساعة العسرة) أي في وقت الشدة والضيق، والتعبير عنه بالساعة لزيادة تعيينه وكانت تلك الشدة حالهم في غزوة تبوك"[4]، وهذا في نظري أكثر ملائمة في بيان سرّ ذكر كلمة (ساعة) للحال التي كانوا عليها، مما ذكره البقاعي من قبل.

وما يشير إلى ذلك بوضوح في القرآن ذكرُ لفظةِ (الحرّ) في قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لاَ تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ**﴾ [التوبة: ٨١]، فإن ذكر (الحرّ) هنا فيه تحديد دقيق لزمن الغزوة، كما أن له دلالته الخاصة على صعوبتها وشدتها، يقول ابن عاشور: "وقولُهم: ﴿**لاَ تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ**﴾ خطابُ بعضهم بعضاً، وكانت غزوة تبوك في وقت الحرّ حين طابت الظلال"[5].

وقد كان لزمن الغزوة أثره الواضح في تنقية المجتمع المسلم من المنافقين، كما كان له أثره في بيان قوة المسلمين القادرين على تحمّل تلك الصعوبات مِنْ بُعْد المكان وشدة الزمان وقوة العدو، لهذا حاول المنافقون استثمار ثقل الزمن وقسوته في التخذيل والإرجاف، يقول سيد قطب: "وجد المنافقون فرصتهم للتخذيل، فقالوا: لا تنفروا في الحر، وخوفوا الناس بعد الشقة، وحذروهم بأس الروم، وكان لهذه العوامل

(١) نظم الدرر للبقاعي – (ج ٤ / ص ٢٥).
(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم – (ج ٢ / ص ٦٤).
(٣) التحرير والتنوير – (ج ٦ / ص ٣٩٦).
(٤) تفسير الألوسي – (ج ٧ / ص ٣٩١).
(٥) التحرير والتنوير – (ج ٦ / ص ٣٥٠).

المختلفة أثرها في تثاقل بعض الناس عن النفرة"[1].

ولعل في إشارة الزمن هذه ما يدل على ضرورة تنقية المجتمع المسلم من خطر المنافقين، وخصوصًا في آخر حياة النبي ﷺ، فكانت هذه الغزوة بكل ما فيها خير ما يكشف ذلك، فإضافةً إلى خطورة الحدث، وعدم قبوله للتأخير حتى في مثل هذه الظروف؛ كان هناك خطر المنافقين الذين يحتاجون من يفضحهم ويخرجهم من جحورهم، ويجلي أمرهم، لهذا سميت غزوة تبوك بـ(الفاضحة)، وذلك لأن كل العوامل السابقة من بعد الشقة، وعسرة الزمن، وقوة العدو قد أسهمت في كشف المستور من معتقد هذه الفئة الخطيرة، كما أنّ هذه الغزوة بكل هذه الظروف قد أسهمت في معالجة بعض صور الضعف عند بعض المسلمين، وخصوصًا التثاقل، والتخلف، ويتضح الأول قوله تعالى: ﴿**مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ...**﴾ الآيات [التوبة: ٣٨]، والثاني يظهر في قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا...**﴾ الآيات [التوبة: ١١٨].

كما أننا نجد إشارات زمنية في ربط هذا الحدث في معالجة ظاهرة (التثاقل) عن الأمر الربّاني إذا ارتبط بالمشقة والتعب كما هو حال غزوة تبوك؛ بحدث آخر مماثل يعرفه المخاطَبون جيدًا، ألا وهو حدث الهجرة، الذي يشبه حال الغزوة من حيث الانتقال، وقطع الفيافي والقفار لبلوغ موضع آخر، لكن الأمر مختلف من حيث أن العدو في حدث الهجرة خلف النبي ﷺ ومَنْ معه، والمعين والناصر أمامه، وفي تبوك العدوُّ أمامه، وموطن أمانه خلفه، في الهجرة قلَّة في العدد، فإنما هو وصاحبه أبو بكر، وفي تبوك معه أكبر جيش تجمّع في العهد النبوي كله، بل قيل في العرف العربي كلّه.

وقد جاءت الإشارة إلى ربط الحدَثين واضحة بعد ذكر التثاقل، فقال سبحانه: ﴿**مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ (٣٨) إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩]، ثم قال جلَّت قدرته: ﴿**إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة: ٤٠].

إنه ربط زمني بين حَدَثين، أحدهما يمثِّل أول الدعوة في حياة النبي ﷺ، بل إنه يمثل أول أيام نموّها خارج مكة، وهذا يمثل آخر أيام الدعوة في حياة رسول الله ﷺ، كما أنه يمثل أول سنوات نموّها خارج

(١) في ظلال القرآن – (ج ٤ / ص ٣٠).

الجزيرة.

المطلب الثاني: تاريخ الغزوة:

كانت الغزوة في رجب في العام التاسع من الهجرة، أي أنها كانت في آخر حياته ﷺ، وهي آخر الغزوات وخاتمتها، وقد كان لوقوعها في هذا التاريخ خصوصًا ما يدل على عظم شأنها وأهميتها، يقول باشميل: "إن غزوة تبوك هي أعظم غزوة في تاريخ العهد النبوي؛ من حيث كون الجيش الذي قام بها بلغ ثلاثين ألفًا، وهو عدد لم يسبق في تاريخ الفهد النبوي وإن اجتمع مثله تحت قيادة النبي ﷺ، وكما أن هذه الغزوة هي أعظم حملة عسكرية يقوم بها النبي ﷺ، فإنها آخر عملية عسكرية يقوم بها حتى توفاه الله"[1].

كما أنها –زيادة على ما ذكر– قد جاءت في هذا التاريخ المتأخر، لتتناسب مع نمو هذه الدعوة المباركة من جهة، وتثبيت دعائمها من جهة أخرى، ولهذا كانت تسمى بالفتح الثاني لنتائجها المذهلة التي حققتها داخليا وخارجيا، يقول ابن إسحاق: "لما افتتح رسول الله ﷺ مكة، وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه"، وقد ذكر أن المسلمين جعلوا يبيعون سلاحهم ويقولون انقطع الجهاد، حتى نهاهم عن ذلك النبي ﷺ، وعظنا به وقال: "لا تزال من أمتي يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجال"[2].

يضاف إلى ذلك ما ذكرناه من الترابط الزمني بين الهجرة والغزوة، من حيث احتواء زمن البداية والنهاية، وزمن النمو الداخلي والخارجي، وأيضًا ما في ذلك من إشارة النصر ﴿**إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ**﴾، وهو المحرِّك الأقوى لتجاوز العقبات، فكأنه قيل: مَنْ نصرَ نبيّه مع قلَّة العدد وضعف العدّة؛ قادرٌ أنْ ينصره مع كثرة العدد وقوة العدّة، ولو مع شدة الزمن وبُعْد الشقّة.

وقد يكون في هذا أيضًا من تربية نفوس المؤمنين في آخر العهد النبوي على التحمّل والصبر ومواجهة الأخطار؛ ما يتناسب مع نمو هذا الدِّين، وعِظم رسالته.

المطلب الثالث: مدة الغزوة.

شكَّلت مدة الغزوة بمجموعها زمنًا ليس بالقصير، يكفي فيه أن بدأ في رجب وانتهى في رمضان، وهذه المدة الطويلة شملت مدة المسير ذهاباً وإياباً، ومدة البقاء في تبوك.

١ – مدة المسير:

استغرق المسير إلى مكان الغزوة زمنا طويلاً، وكذلك العودة منه، وهذا ما لم يعهد العرب مثله، وقد جاءت السنة ببيان مقدار ذلك الزمن الذي قضاه الجيش الإسلامي للوصول إلى تبوك في القيظ الشديد،

(١) موسوعة القرآن الكبرى (غزوة تبوك)، محمد أحمد باشميل، (المكتبة السلفية، القاهر، ط ٣، ١٤٠٨، ١٩٨٨) ص ٥.

(٢) أخرجه ابن سعد ٢ / ١ (١٢٠). وانظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (ج ٥ / ص ٤٧٠).

والشمس الحارقة، لقد بقوا في المسير ذهاباً وإياباً ما يقارب شهرًا، وقد ذُكر أن بَدْأ مسير الجيش كان يوم الخميس قبل منتصف شهر رجب[١] سنة ٩هـ، وحدّده بعضهم بالخامس من رجب[٢]، وكان وصوله إلى تبوك في شعبان سنة ٩هـ، وأقام فيها مدة تقارب عشرين يومًا، ثم رجع إلى المدينة في رمضان[٣]، وهذا يعني أنّ زمن الغزوة قد تداخل مع ثلاثة شهور هي: رجب، وشعبان، ورمضان.

ولسنا نعرف بالتحديد الدقيق المدة الزمنية التي قضاها النبي ﷺ في الذهاب والإياب، ولكن المذكور أن "بين تبوك والمدينة اثنا عشرة مرحلة"[٤]، و"المرحلة بريدان = ٨ فراسخ = ٢٤ ميلا = ٤٤٣٥٢ مترا"[٥]، أي ما يقارب ٤٥ كلم، وقد قيل في تعريف المرحلة بأنها: "المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم والجمع (المَرَاحِلُ)"[٦]،والمسافة من تبوك إلى المدينة من طريق الغزوة تقارب٦٠٠ كلم، وبناء على ذلك يمكن حساب المدة التقريبية أنه ما بين (١٢) إلى (١٥) ليلة، وقال المباركفوري: "واستغرقت هذه الغزوة خمسين يوماً، أقام منها عشرين يوماً في تبوك، والبواقي قضاها في الطريق جيئة وذهابًا"[٧].

ولا شك أنّ هذا جهد كبير على جيش بهذه الضخامة والعدة، ولكن لأهمية الحدث، وربما لأهمية المكان، ومحاذاته لعدوٍّ خارجي كان لا بد من تسيير هذا الجيش في هذا الزمن، وعبر تلك المسافة الطويلة.

٢ – مدة البقاء في تبوك.

تعد المدة التي مكثها النبي ﷺ في تبوك هي الأطول في غزواته، حيث مكث عشرين يومًا يقصر فيها الصلاة، وهي بهذا أطول من مدة بقائه ﷺ في مكة عام الفتح[٨].

وهذا المدلول الزمني في طول مدة البقاء يشير إلى وجود أحداث ومهمات تستوجب ذلك، ويتبيّن ذلك إذا تذكَّرنا أنَّ الأمر حُسِم دون قتال، وإلاَّ لربما امتد أَمَد البقاء.

كما أنَّ هذا يشير أيضًا إلى أنَّ النبي ﷺ قد جاء إلى هذا المكان وهو يريد تحقيق أهداف معيّنة، وربما تكون محدَّدة.

---

(١) انظر: مقال:الطريق إلى تبوك، لمحمد عبد الوهاب، من موقع http://www.islamonline.net .

(٢) انظر: : المواهب اللدنية، للقسطلاني ٦٢٥/١، وحاشية خلاصة سير سيد البشر ﷺ، الطبري، تحقيق د. زهير الخالد (وزارة الأوقاف القطرية، ط٢، ١٤٢٥هـ) ٣٥٠/١.

(٣) (الروض الأنف) ٣١٢/٤.

(٤) معجم البلدان (ج ١ / ص ٤٠٢).

(٥) معجم لغة الفقهاء (ج ١ / ص ٤٥١).

(٦) المصباح المنير (ج ١ / ص ٢٢٣).

(٧) الرحيق المختوم (ج ١ / ص ٤٢٧).

(٨) انظر: حاشية السنن الكبرى للبيهقي (ج ٣ / ص ١٥٠).

وكان في امتداد بقاء النبي ﷺ هذا الوقت رغم وجود خطر المنافقين في المدينة، وعلى رأسهم عبد الله ابن أبي سلول؛ ما يشير إلى أهمية البقاء تلك المدة التي استوعبت كثيرًا من الأحداث والأحكام، والوقائع والمعاهدات.

المبحث الثاني: دلالة المكان.

يمكننا حصر الأمكنة التي شملها هذه الحدث الكبير، بدءًا من خروج النبي ﷺ من المدينة حتى رجوعه إليها، مع التركيز على ما يتعلق بتبوك، ويشمل ذلك مسافة المسير وطريقه، وموقع الغزوة(تبوك)، والأماكن التي ظهرت وذكرت بمرور النبي ﷺ عليها، وسنبين ذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: مسافة الغزوة

تعد مسافة الغزوة حيزًا مكانيًا له دلالته، حيث تلك المسافة بعيدة جدًا، تجاوزت كل ما ألفه المسلمون من قبل من مسافات، لهذا كانت شاقة عليهم، وقد أوضح ذلك تلك الإشارة القرآنية في كلمة (الشقّة) في وصف حال المنافقين، وهي كلمة تدل على "المسافة التي تقطع بمشقة"[1] وذلك كما في قوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ**﴾ [التوبة: ٤٢]، فنجد في هذه الآية ثلاث دلالات على الزمن: القُرب (قريباً)، والقصد (قاصدًا)، والبعد (بَعُدت)، يقول الطبري في شرحها: "لو كان ما تدعو إليه المتخلفين عنك والمستأذنيك في ترك الخروج معك إلى مغزاك الذي استنفرتهم إليه (عرضا قريبا)، يقول: غنيمة حاضرة، (وسفرًا قاصدًا)، يقول: وموضعًا قريبًا سهلا، (لاتبعوك)، ونفروا معك إليهما، ولكنك استنفرتهم إلى موضع بعيد، وكلفتهم سفرًا شاقًّا عليهم، لأنك استنهضتهم في وقت الحرّ، وزمان القَيْظ وحين الحاجة إلى الكِنّ"[2].

إضافة إلى دلالة السفر في كلمة (سفرًا) على الانتقال وما يتبعه من الشقة التي بينتها كلمة (الشقّة) في قوله تعالى: ﴿**وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ**﴾.

وهناك كلمات تدل على المسير وردت في القرآن مثل: الخروج، والإيضاع، كما في قوله تعالى: ﴿**لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالا وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾ [التوبة: ٤٧].

قال أبو جعفر: "يقول تعالى ذكره: لو خرج -أيها المؤمنون- فيكم هؤلاء المنافقون (ما زادوكم إلا خبالا)، يقول: لم يزيدوكم بخروجهم فيكم إلا فسادًا وضرًّا، ولذلك ثبَّطتُهم عن الخروج معكم... (ولأوضعوا خلالكم)، يقول: ولأسرعوا بركائبهم السَّير بينكم، وأصله من "إيضاع الخيل والركاب"، وهو الإسراع بها في السير"[3].

وقد كان في ذكر المسافة وطولها في النص القرآني ما يدل على أهمية هذا الأمر في تلك الغزوة الخاتمة،

---

(١) تفسير الألوسي - (ج ٧ / ص ٢٤٣).

(٢) تفسير الطبري - (ج ١٤ / ص ٢٧١).

(٣) تفسير الطبري - (ج ١٤ / ص ٢٧٨).

لكشف مستور المخربين، ومثل هؤلاء لا يعريهم إلا الجهد والمشقة والعمل الجاد المضني، فـ"لو كان الأمر أمر عرض قريب من أعراض هذه الأرض، وأمر سفر قصير الأمد مأمون العاقبة؛ لاتبعوك، ولكنها الشقة البعيدة التي تتقاصر دونها الهمم الساقطة والعزائم الضعيفة، ولكنه الجهد الخطر الذي تجزع منه الأرواح الهزيلة والقلوب المنخوبة، ولكنه الأفق العالي الذي تتخاذل دونه النفوس الصغيرة والبنية المهزولة، وإنه لنموذج مكرور في البشرية ذلك الذي ترسمه تلك الكلمات الخالدة:

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾..

فكثيرون هم أولئك الذين يتهاوون في الطريق الصاعد إلى الآفاق الكريمة، كثيرون أولئك الذين يجهدون لطول الطريق فيتخلفون عن الركب ويميلون إلى عرض تافه أو مطلب رخيص، كثيرون تعرفهم البشرية في كل زمان وفي كل مكان، فما هي قلة عارضة، إنما هي النموذج المكرور، وإنهم ليعيشون على حاشية الحياة، وإن خُيِّلَ إليهم أنهم بلغوا منافع ونالوا مطالب، واجتنبوا أداء الثمن الغالي، فالثمن القليل لا يشتري سوى التافه الرخيص!"[1].

المطلب الثاني: موقع الغزوة (تبوك).

من خلال الإشارات السابقة ندرك بعد المكان، وصعوبة المسير إليه، وهذا ما دعا النبي ﷺ أن يفصح عن الوجهة التي يريدها، ويحدد المكان الذي يقصده، وهو تبوك، وهذا الاسم ورد على لسان رسول الله ﷺ في قوله: "سترودن غدًا عين تبوك"، يقول الزرقاني: "وصريحه قدم تسمية المكان بذلك"، وقيل: سميت بذلك لقوله ﷺ للرجلين اللذين سبقاه إلى العين: "ما زلتما تبوكانها منذ اليوم"، قال ابن قتيبة: "فبذلك سميت العين تبوك، والبوك كالنقش والحفر، وقال ابن الأثير: "والبوك: تثوير الماء بعود ونحوه ليخرج من الأرض"[2]، والحديث المذكور رواه مالك ومسلم بغير هذا اللفظ عن معاذ، أنهم خرجوا معه ﷺ فقال: "إنكم ستأتون غدًا إن شاء الله عين تبوك..."[3].

والصحيح قدم التسمية ، يقول الشامي: "دل صريح هذا الحديث على أن تبوك اسم لذلك الموضع الذي فيه العين المذكورة، والنبي ﷺ قال هذا القول: قيل أن يصلها بيوم"[4]، يقول باشميل: "(تبوك) اسم مشهور في القديم والحديث"[5].

---

(١) في ظلال القرآن – (ج ٤ / ص ٣٤).

(٢) (النهاية لابن الأثير ١٦٢/٩) وانظر: (عمدة القاري ٣٧٧/١٤).

(٣) فتح الباري، لابن حجر (١٢/ ٢٣٣).

(٤) شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني، تحقيق حمد عبد العزيز الخالدي. (دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤١٧، ١٩٩٦ م) ٦٦/٥٦٥/٤.

(٥) الغزوات الكبرى، غزوة تبوك، ٣٦.

وهذا الحدث الخاص بالغزوة، وهو عدم التورية؛ له دلالته الخاصة بِبُعْدِ المكان، وشدة الوقت، وكثرة العدوّ، عن كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ – رضي الله عنه– يَقُولُ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلاَّ وَرَّى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَاسْتَقْبَلَ غَزْوَ عَدُوٍّ كَثِيرٍ، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ، لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ عَدُوِّهِمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ"[1].

وقد يكون في ذلك إشارة إلى صعوبة الأمر في الموقع الذي سيكون مسرحًا للغزوة (تبوك)، وهذا ظاهر إذا وازَنَّا حال (تبوك) بحال المدينة التي انطلق منها الجيش، وما فيها من الثمار والزروع والمياه، وفي هذا تهيئة نفسية للجيش ليكون مستعدًا للبقاء والتعايش في أرض قاحلة خالية من الزروع والثمار التي ألِفوها، بل إنّ فيها ما يشبه المجاعة، ويدل على هذا بعض الحوادث التي حصلت، ومنها ما رواه أبو هريرة أو أبو سعيد –شك الأعمش– قال لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، قالوا: يا رسول الله، لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا، فأكلنا وادهنَّا، فقال رسول الله – ﷺ –: "افعلوا"، قال فجاء عمر فقال: يا رسول الله، إنْ فعلت؛ قلَّ الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك، فقال رسول الله –ﷺ–: "نعم"، قال فدعا بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم –قال– فجعل الرجل يجيء بكف ذرة –قال– ويجيء الآخر بكف تمر –قال– ويجيء الآخر بكسرة؛ حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير – قال – فدعا رسول الله – ﷺ – عليه بالبركة ثم قال: "خذوا في أوعيتكم"، قال فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه – قال – فأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة فقال رسول الله –ﷺ–: "أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة"[2]، قال محمد الصوياني معنونًا لهذه الحادثة "مجاعة على أرض تبوك"[3].

كما أن في اختيار النبي ﷺ لهذا الموقع خصوصًا (تبوك) بحيث لا يتجاوزه ولا ينزل دونه؛ ما يدل على أهمية ذلك الموقع، من حيث اشتراكه مع جهات متنوعة داخل الجزيرة وخارجها، كما ظهر حرص النبي ﷺ على دفع الأعداء (الروم) عن هذه المنطقة؛ لأن وصولهم إليها، واستيلاءهم عليها سيكون عامل خطورة على الجزيرة مهد الإسلام من تلك الجهة، وهذا كله يدل على أن هدفه هو تبوك، وذلك لأن المصلحة اقتضت أن تكون تبوك هي المحطة المناسبة لتلك الغزوة، ويظهر ذلك من قصة استشارته ﷺ لعمر في مجاوزتها، فقال: إن كنت أمرت بالسير فسر، فقال ﷺ: "لو أمرت بالسير

(١) صحيح البخاري (٢٩٤٨) – (ج ١٠ / ص ٤٤٣).

(٢) صحيح مسلم – (ج ١ / ص ١٧١).

(٣) السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة (قراءة جديدة)، أحمد الصوياني (مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤)، ١٣٩/٤.

لم استشركم فيه"، فقال: يا رسول الله، إن للروم جموعًا كثيرة، وليس بها أحد من أهل الإسلام، وقد دنونا منهم، وقد أفزعهم دنوك، فلو رجعنا هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله لك أمرًا.

وهذا يدل على شدة الأرض، وأنها لم تكن عامرة ولا كبيرة، ومع هذا قصدها رسول الله ﷺ لمعرفته عليه السلام بما سيكون من شأنها.

المطلب الثالث: الأمكنة المذكورة في الغزوة.

ظهرت بفضل هذه الغزوة أسماء كثير للأماكن التي شملها طريق الغزوة ذهابًا وإيابًا، ويتبع ذلك ما اتصل بموقع الغزوة من أماكن، ويمكن بيان ذلك على النحو التالي:

أ – المساجد:

ذُكرت في السيرة مساجد عدة قال عنها ابْنُ هشام: "وَكَانَتْ مَسَاجِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِيمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَتَبُوكَ مَعْلُومَةً مُسَمَّاةً: مَسْجِدٌ بِتَبُوكَ، وَمَسْجِدٌ بِثَنِيَّةِ مَدْرَانَ، وَمَسْجِدٌ بِذَاتِ الزَّرْبِ، وَمَسْجِدٌ بِالْأَخْضَرِ، وَمَسْجِدٌ بِذَاتِ الْخَطْمِيِّ، وَمَسْجِدٌ بِآلاَءَ، وَمَسْجِدٌ بِطَرَفِ الْبَتْرَاءِ مِنْ ذَنَبِ كَوَاكِبَ، وَمَسْجِدٌ بِالشَّقِّ شَقِّ تَارًا، وَمَسْجِدٌ بِذِي الْجِيفَةِ، وَمَسْجِدٌ بِصَدْرِ حَوْضَى، وَمَسْجِدٌ بِالْحِجْرِ، وَمَسْجِدٌ بِالصَّعِيدِ، وَمَسْجِدٌ بِالْوَادِي، الْيَوْمَ وَادِي الْقُرَى، وَمَسْجِدٌ بِالرُّقْعَةِ مِنْ الشِّقَّةِ شِقَّةِ بَنِي عُذْرَةَ، وَمَسْجِدٌ بِذِي الْمَرْوَةِ، وَمَسْجِدٌ بِالْفَيْفَاءِ، وَمَسْجِدٌ بِذِي خُشُبٍ"[1].

وقد فصَّل أحد الباحثين مواضع هذه المساجد على النحو التالي:

١ – مَسْجِدُ تَبُوكَ: لاَ زَالَ مَعْرُوفًا، بِالْبَلَدِ الْقَدِيمِ.

٢ – مَسْجِدُ ثَنِيَّةِ مَدْرَانَ، انْدَثَرَ، وَبَعْضُهُمْ يَعْتَقِدُ أَنَّ قُصَيْرَ التَّمْرَةِ هُوَ مَسْجِدُ مَدْرَانَ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ تَبُوكَ.

٣ – ذَاتُ الزَّرْبِ: لاَ أَعْرِفُهَا، وَلَعَلَّهَا مَا يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِأُمِّ زَرْبٍ، وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ الْعُلاَ.[2]

٤ – ٱلأَخْضَرُ: وَادٍ جَنُوبَ تَبُوكَ، يُطِيفُ بِهَا مِنْ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ، وَالْمَقْصُودُ هُنَا رَأْسُهُ حَيْثُ كَانَ طَرِيقَ الْغَزْوَةِ.

٥ – ذَاتُ الْخَطْمِيِّ وَآلاَءُ، مَنْسُوبَتَانِ إِلَى نَبَاتٍ مَعْرُوفٍ بِالْبَادِيَةِ.

٦ – كَوَاكِبُ: مَعْرُوفٌ الْيَوْمَ بَيْنَ تَبُوكَ وَالْعُلاَ، وَهُوَ عَلَى طَرِيقِ الْغَزْوَةِ.

٧ – شَقّ تَارًا: لَعَلَّهَا تِلْكَ الصَّحْرَاءِ الَّتِي تُوَاجِهُك قَبْلَ الْحِجْرِ مِمَّا يَلِي تَبُوكَ.

٨ – ذُو الْجِيفَةِ: وَادٍ يَصُبُّ فِي الْجَزْلِ قَبْلَ الْتِقَائِهِ بِوَادِي الْقُرَى، فَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ فَالْمَسْجِدُ فِي رَأْسِهِ حَيْثُ

(١) سيرة ابن هشام – (ج ٢ / ص ٥٣٠).

(٢) وهي معروفة عندنا أهل تبوك، وتوجد على طريق الغزوة باسم الزراب.

يَمُرُّ الطَّرِيقُ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ.

٩ – حَوْضَى: وَادٍ لِبَلِيٍّ يَصُبُّ فِي وَادِي الْقُرَى، قُرْبَ الْعُلاَ.

١٠ – الْحِجْرُ: مَا زَالَ مَعْرُوفًا، وسيأتي ذكره.

١١ – الصَّعِيدُ: صَدْرُ وَادِي الْقُرَى الْمُتَّسِعُ، بَيْنَ الْحِجْرِ وَالْعُلاَ، وَالْمَسَافَةُ بَيْنَهُمَا قُرَابَةَ (٢٢) كَيْلاً.

١٢ – مَسْجِدُ وَادِي الْقُرَى: هُوَ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ أَهْلُ الْعُلاَ الْيَوْمَ.

١٣ – شَقَّةُ بَنِي عُذْرَةَ: تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالْمَجَزِّ، وَهِيَ شَقَّةٌ طَوِيلَةٌ تَلِي الْحِجْرَ مِنْ الشَّمَالِ الشَّرْقِيِّ، وَمَعْنَى شَقَّةَ: أَيْ مَسْلَكٌ بَيْنَ سِلْسِلَتَيْنِ مِنْ الرَّمْلِ، أَوْ الْجِبَالِ.

١٤ – ذُو الْمَرْوَةِ: مَكَانٌ مَا زَالَ مَعْرُوفًا قُرْبَ مَصَبِّ وَادِي الْجَزْلِ فِي وَادِي الْحَمْضِ.

١٥ – الْفَيْفَاءُ: لاَ أَعْرِفُهَا الْيَوْمَ.

١٦ – ذُو خُشُبٍ: لَيْسَ بَعِيدًا عَنْ ذِي الْمَرْوَةِ، وَهُنَاكَ ذُو خُشُبٍ آخَرُ قُرْبَ الْمَدِينَةِ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ، وَلاَ أَدْرِي أَيَّهمَا هُوَ[1].

ومن المساجد التي ذكرت في السنة والقرآن، مسجد الضرار، وهو بالمدينة، لكن ذكره ظهر مع الغزوة وأحداثها، لهذا بدأ النبي ﷺ بتسوية أمره قبل دخوله المدينة حال رجوعه من تبوك، يقول ابن كثير: "وذكر ابن إسحاق كيفية بناء هذا المسجد الظالم أهله، وكيفية أمر رسول الله ﷺ بخرابه مرجعه من تبوك قبل دخوله المدينة"[2].

"ومضمون ذلك: أن طائفة من المنافقين بنوا صورة مسجد قريبا من مسجد قباء، وأرادوا أن يصلي لهم رسول الله ﷺ فيه حتى يروج لهم ما أرادوه من الفساد والكفر والعناد، فعصم الله رسوله ﷺ من الصلاة فيه، وذلك أنه كان على جناح سفر إلى تبوك، فلما رجع منها فنزل بذي أوان – مكان بينه وبين المدينة ساعة – نزل عليه الوحي في شأن هذا المسجد وهو قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠)**﴾ [التوبة: ١٠٧-١١٠].

---

(١) المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية – (ج ١ / ص ٤١٧).

(٢) السيرة النبوية لابن كثير – (ج ٤ / ص ٣٨).

والمقصود أن رسول الله ﷺ لما نزل بذي أوان دعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدى – أو أخاه عاصم بن عدى – رضي الله عنهما فأمرهما أن يذهبا إلى هذا المسجد الظالم أهله فيحرقاه بالنار، فذهبا فحرقاه بالنار، وتفرق عنه أهله"[1].

ب –المواقع الأخرى:

وهي تشمل الأودية والهضاب والجبال، والقرى والهجر، والمدن التي ارتبط ذكرها بالغزوة وأبرزها:

أ – (**تَبُوكُ**) "بِفَتْحِ الْمُثَنَّاةِ فَوْقُ، وَضَمِّ الْمُوَحَّدَةِ، وَبَعْدَ الْوَاوِ كَافٌ: ذَكَرَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ فِي خَبَرٍ مُطَوَّلٍ، فِي غَزْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمُسَمَّاةِ غَزْوَةَ تَبُوكَ، وَجَيْشَ الْعُسْرَةِ، وَكَانَتْ فِي زَمَنِ عُسْرَةٍ، وَفِي فَصْلِ الصَّيْفِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، كَانَ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِلْهِجْرَةِ. قُلْت: تَبُوكُ، كَانَتْ مَنْهَلاً مِنْ أَطْرَافِ الشَّامِ، وَكَانَتْ مِنْ دِيَارِ قُضَاعَةَ تَحْتَ سُلْطَةِ الرُّومِ.

وَقَدْ أَصْبَحَتْ الْيَوْمَ مَدِينَةً مِنْ مُدُنِ شَمَالِ الْحِجَازِ الرَّئِيسِيَّةِ، لَهَا إِمَارَةٌ تُعْرَفُ بِإِمَارَةِ تَبُوكَ، وَهِيَ تَبْعُدُ عَنْ الْمَدِينَةِ شَمَالاً (٧٧٨) كَيْلاً عَلَى طَرِيقٍ مُعَبَّدَةٍ تَمُرُّ بِخَيْبَر وَتَيْمَاءَ، وَقَدْ مَرَّتْ بِهَا سِكَّةُ حَدِيدِ الْحِجَازِ سَنَةَ ١٣١٢ هـ، وَهِيَ سِكَّةٌ عُطِّلَتْ إِبَّانَ الثَّوْرَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْكُبْرَى، وَلاَ زَالَتْ مُعَطَّلَةً.

وَتَرْتَفِعُ تَبُوكُ عَنْ سَطْحِ الْبَحْرِ (٢٥٤٣) قَدَمًا، وَفِي الْخَرِيطَةِ تَقَعُ قُرْبَ الدَّرَجَةِ = ٣٦/٣٢ طُولاً، ٢٨/٢٧ عَرْضًا، وَإِلَى الشَّمَالِ مِنْهَا تَقَعُ مَدِينَةُ مَعَانَ عَلَى مَا يَقْرُبُ مِنْ (٢٣٨) كَيْلاً شَمَالاً وَبَادِيَتُهَا بَنُو عَطِيَّةَ، الَّتِي تَضْرِبُ دَائِرَةً حَوْلَهَا"[2].

ب –(عين تبوك):

جاء في شأنها حديث المصطفى ﷺ، الذي يرويه معاذ بن جبل فيقول: "خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك، فكان يجمع الصلاة، فصلى الظهر والعصر جميعًا، والمغرب والعشاء جميعًا، حتى إذا كان يومًا أخَّر الصلاة، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعًا، ثم دخل ثم خرج بعد ذلك فصلى المغرب والعشاء جميعًا، ثم قال: "إنكم ستأتون غدًا إن شاء الله (عين تبوك)، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئًا حتى آتي، فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان، والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء، قال فسألهما رسول الله ﷺ هل مسستما من مائها شيئًا؟ قالا: نعم، فسبهما النبي ﷺ وقال لهما ما شاء الله أن يقول، قال: ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيء، قال وغسل رسول الله ﷺ فيه يده ووجهه، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر أو قال غزير – شك أبو علي أيهما قال –، حتى استقى الناس ثم قال: يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد

(١) السيرة النبوية لابن كثير – (ج ٤ / ص ٣٨).

(٢) المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية – (ج ١ / ص ٢٣٦).

ملئ جنانًا"[1].

وهذه إشارة لطيفة لمستقبل ذلك المكان، الذي يشعر وصفه في الغزوة أنه لا يعدو أن يكون عينا ضعيفة، ليس حولها زرع ولا ضرع، وسكان، وهي اليوم كما نرى واحة عظيمة، غزيرة الماء، كثيرة البساتين والعمران، ولم يتحقق ما ذكره ﷺ إلا في الزمن المتأخر في عهد الدولة السعودية، أما قبل ذلك فقد كانت مورد ماء فحسب، ولا يعني هذا أنّ ما نراه اليوم هو بالضرورة صورة تحقق الحديث، بل قد يكون المراد ما هو أعظم من هذا، وأنّ هذا المكان سيمتلئ جنانًا، لا بفعل الناس والزراعة، بل بكثرة الأمطار والخير، والله أعلم بالمراد.

ت – (**القدس**) (**إيليا**): بيت القدس المشهورة، فيها المسجد الأقصى.

ث –**حمص**: مدينة تقع على بعد ١٦٠ شمال دمشق.

ج –**الشام**: بلاد الشام، وتشمل في عصر النبي ﷺ ولاية سورية الرومانية (سورية ولبنان والأردن وفلسطين).

ح –**أرض البلقاء**: من أعمال دمشق، بين الشام ووادي القرى، قصبتها عمان.

خ –**ثنية الوداع**: ثنية مشرفة على المدينة، يطؤها من يريد مكة.

د –**الجرف**: أرض زراعية تقع شمال المدينة.

ذ –**الحِجْر** (**ديار ثمود**): وادٍ يصب في وادي العلا (القرى) من الشمال وقد جاء ذكره في الأحاديث، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – لَمَّا نَزَلَ الْحِجْرَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَهُمْ أَنْ لاَ يَشْرَبُوا مِنْ بِئْرِهَا، وَلاَ يَسْتَقُوا مِنْهَا فَقَالُوا قَدْ عَجَنَّا مِنْهَا، وَاسْتَقَيْنَا. فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرَحُوا ذَلِكَ الْعَجِينَ وَيُهَرِيقُوا ذَلِكَ الْمَاءَ"[2]، وقال "لاَ تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ". ثُمَّ تَقَنَّعَ بِرِدَائِهِ، وَهْوَ عَلَى الرَّحْلِ"[3].

ر –**دومة الجندل**: حصن وقرى على سبع راحل من دمشق.

ز –**أيلة** (**العقبة**): تقع على الطرق الشمالي لخليج العقبة.

س –**الجرباء**: موضع من أعمال عمان بالبلقاء، وهي قرية من (أذرح).

ش –**أذرح**: **اسم بلد في طرف الشام من أعمال السراة، وهي من نواحي البلقاء.**

---

(١) صحيح مسلم – (ج ٤ / ص ١٧٨٤)، (تبض) تسيل، و(الشراك) هو سير النعل، ومعناه ماء قليل جدًا، (منهمر) أي كثير الصب والدفع، (جنانًا) أي بساتين وعمرانًا، وهو جمع جنة، وهو أيضا من المعجزات.

(٢) صحيح البخاري – (ج ١٢ / ص ٥٤).

(٣) صحيح البخاري – (ج ١٢ / ص ٥٦).

ص –**تيماء**: من أمهات القرى، وهي بليد في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى.

ض –**ذو أوان**: بلدة قديمة تقع شمال المدينة[1].

ط –**وادي المشقق**: قال عنه السهيلي وغيره: "وَكَانَ فِي الطّرِيقِ مَاءٌ يَخْرُجُ مِنْ وَشَلٍ، مَا يَرْوِي الرّاكِبَ وَالرّاكِبَيْنِ وَالثّلاثَةَ بِوَادٍ يُقَالُ لَهُ وَادِي الْمُشَقّقِ[2] ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَنْ سَبَقَنَا إلَى ذَلِكَ الْوَادِي فَلاَ يَسْتَقِيَنّ مِنْهُ شَيْئًا حَتّى نَأْتِيَهُ. قَالَ فَسَبَقَهُ إلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ الْمُنَافِقِينَ فَاسْتَقَوْا مَا فِيهِ فَلَمّا أَتَاهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَقَفَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرَ فِيهِ شَيْئًا. فَقَالَ مَنْ سَبَقَنَا إلَى هَذَا الْمَاءِ؟ فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللّهِ فُلانٌ وَفُلانٌ، فَقَالَ أَوَلَمْ أَنْهَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنْهُ شَيْئًا حَتّى آتِيَهُ" ثُمّ لَعَنَهُمْ [ص ٣٠٣] ﷺ وَدَعَا عَلَيْهِمْ. ثُمّ نَزَلَ فَوَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ الْوَشَلِ فَجَعَلَ يَصُبّ فِي يَدِهِ مَا شَاءَ اللّهُ أَنْ يَصُبّ ثُمّ نَضَحَهُ بِهِ وَمَسَحَهُ بِيَدِهِ وَدَعَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِمَا شَاءَ اللّهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ فَانْخَرَقَ مِنْ الْمَاءِ – كَمَا يَقُولُ مَنْ سَمِعَهُ – مَا إنّ لَهُ حِسّا كَحِسّ الصّوَاعِقِ فَشَرِبَ النّاسُ وَاسْتَقَوْا حَاجَتَهُمْ مِنْهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ لَئِنْ بَقِيتُمْ أَوْ مَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ لَتَسْمَعُنّ بِهَذَا الْوَادِي، وَهُوَ أَخْصَبُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَا خَلْفَهُ"[3].

وقد تساءل ابن القيم: هَلْ قِصّةُ النّهْيِ عَنْ الشّرْبِ مِنْ وَادِي الْمُشَقّقِ وَعَيْنِ تَبُوكَ قِصّةٌ وَاحِدَةٌ؟ ثم أجاب: "إنْ كَانَتْ الْقِصّةُ وَاحِدَةً؛ فَالْمَحْفُوظُ حَدِيثُ مُسْلِمٍ وَإِنْ كَانَتْ قِصّتَيْنِ فَهُوَ مُمْكِنٌ"[4].

ظ –**مقنا**: وهي قرية ساحلية على البحر الأحمر، وقد جاء ذكرها في غزوة تبوك في المكاتبات والمعاهدات التي جرت بين النبي ﷺ وأهل تلك البلاد.

ولا شك أنّ هذا الحشد الكبير من الأماكن التي ظهر كثير منها بسبب الغزوة لَيُصوِّر سعة رقعة تأثير الغزوة من جهة، حيث امتد ذلك التأثير من المدينة النبوية إلى وسط الشام، كما وصل إلى ساحل البحر وعمق الصحراء، وهو من جهة أخرى يبيّن أهمية موقع تبوك من حيث توسطه لهذه الأماكن المذكورة، وخصوصًا الحواضر في ذلك الزمن، وهذا ما يعطي (تبوك) حتى اليوم هذا البعد الاستراتيجي في موقعها المحاذي لحضارات وممالك قائمة حتى اليوم.

---

(١) انظر: الغزوات النبوية المطهرة من وجهة نظر فن الحرب، العميد الركن/ إبراهيم إسماعيل كاخيا، (دار حسان للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٣، ١٩٩٣م) ١٥١.

(٢) وقيل يقال له: وادي الناقة، انظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد – (ج ٥ / ص ٤٦٤).

(٣) الروض الأنف – (ج ٤ / ص ٣٠٠).

(٤) زاد المعاد – (ج ٣ / ص ٤٧١).

المبحث الثالث:محتوى الزمان والمكان.

في هذه الغزوة بكل أبعادها، وما استغرقه من زمن، وما غطّته من مساحة مكانية واسعة، أحداث كثيرة، ووثائق وأقوال، تصوِّرُ بعمومها أهمية الغزوة، وقد رأيت أن أجعلها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الآيات القرآنية.
المطلب الثاني: الأقوال النبوية والخطب.
المطلب الثالث: المعاهدات والكتب والرسائل.
المطلب الرابع:. المعجزات والخوارق.
المطلب الخامس: الأحكام الشرعية.
المطلب السادس: الأشعار.
المطلب السابع: الأعلام الذي ذكروا في الغزوة.
المطلب الثامن: البشائر النبوية

المطلب الأول: الآيات القرآنية.

يعطي النص القرآني الوارد في هذه الغزوة دلالة كبيرة على تأثير هذه الغزوة، وكثرة أحداثها، وطول زمانها ونوعه.

سورة كاملة في الغزوة:

لعل من أظهر وثائق هذا الحدث الكبير تلك الآيات الكثيرة التي نزلت في شأنها، فسورة التوبة تكاد تكون متخصصة في هذه الغزوة وأحداثها، إلا بضع آيات في أولها، بل إنها لتلقي مع الغزوة في الاسم (الفاضحة) لهذا يقول السعدي رحمه الله:" اعلم أن كثيرا من هذه السورة الكريمة، نزلت في غزوة تبوك"[1].

الآيات التي وصفت الغزوة وأحداثها ونزلت بسببها:

نكتفي هنا بالإشارة إلى تلك الآيات الكثيرة في سورة التوبة التي تعرضت لهذه الغزوة، ويمكن تحديدها بدءا من الآية ٣٨ في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآَخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾ [التوبة: ٣٨] إلى آخر السورة، في الآية ١٢٩.

ولا شك أن دراسة هذا الكم الكبير من الآيات حول هذا الحدث العظيم سيكون مفيدًا وجديدًا أيضًا، وهذا ما يمكن أن يقوم به بحث منفصل يتخصص في هذا الجانب من الغزوة.

القرآن ينزل في تبوك:

مما يحسن ذكره هنا أن بعض تلك الآيات نزلت حل وجود النبي ﷺ في تبوك، ومنها قوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]، فعن عبد الله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغبَ بطونًا، ولا أكذبَ ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء! فقال رجل في المجلس: كذبتَ، ولكنك منافق! لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزل القرآن، قال عبد الله بن عمر: فأنا رأيته متعلقًا بحَقَب ناقة رسول الله ﷺ تَنْكُبه الحجارة، وهو يقول: "يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب!"، ورسول الله ﷺ يقول: "أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم"[2].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن كَعْبِ بن مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَأَمَرَ بِالْغَزْوِ إِلَى تَبُوكٍ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، غَيْرَ أَنَّ نَفْسِي تَتَوقُ إِلَى الظِّلِّ وَالرُّطَبِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ شَابٌّ قَوِيٌّ

(١) تفسير السعدي – (ج ١ / ص ٣٣٧).

(٢) تفسير الطبري – (ج ١٤ / ص ٣٣٣).

وَنَفْسِي تَقُولُ لِي، وَعِنْدِي بَعِيرَانِ: سَوْفَ تَعْتَذِرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَفْسِي تَقُولُ لِي: تَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَنَا كَذَلِكَ وَأَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ غَادِيًا، وَخَرَجْتُ إِلَى السُّوقِ أُرِيدُ أَنْ أَتَجَهَّزَ، وَكَأَنَّمَا أُمْسِكَ بِيَدِيَّ، وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْمَدِينَةِ قَدْرَ فَرْسَخَيْنِ وَقَفَ، فَإِذَا هُوَ بِرَاكِبٍ يَلْحَقُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ"، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي خَيْثَمَةَ، قَالَ: وَفِي الْمَدِينَةِ سَبْعَةٌ وَثَمَانُونَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَأَنَا، وَهِلالُ بن أُمَيَّةَ، وَمَرَارَةُ، فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَبَا خَيْثَمَةَ،"مَا فَعَلَ كَعْبُ بن مَالِكٍ؟"، قَالَ: تَرَكْتُهُ يَمْشِي فِي أَزِقَّةِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ مُعَاذٌ: هُوَ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: وَنَزَلَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جَانِبِنَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَاللَّهِ إِنَّهُمْ أَرْغَبُنَا بُطُونًا، وَأَخْشَانَا عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَأَضْعَفُنَا قُلُوبًا، فَدَعَا رَسُولُ ﷺ عَمَّارَ بن يَاسِرٍ، فَقَالَ: "اذْهَبْ إِلَى هَؤُلاءِ الرَّهْطِ، فَقُلْ لَهُمْ مَا نَقِمْتُمْ؟، فَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ، لَيَقُولُنَّ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ"، فَقَالَ لَهُمْ: احْتَرَقْتُمْ أَحْرَقَكُمُ اللَّهُ، وَنَزَلَتْ ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُونَ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: آية ٦٥]، قَالَ: وَجَاءَ رَجُلٌ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ، فَتَعَلَّقَ بِرِجْلِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا مَالَيْتُهُمْ، وَلَكِنِّي قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَهُمْ، فَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ، وَجَعَلَ يَتَعَلَّقُ بِالرَّجُلِ وَيَعْتَذِرُ إِلَيْهِ، وَيَسِيرُ مَعَهُ حَتَّى سَالَ مِنْ عَقِبَيْهِ الدَّمُ"[(١)].

المطلب الثاني: الأحاديث النبوية والخطب:

اشتملت هذه الغزوة بتباين أحداثها وتعدد مواقعها على أقوال متنوعة للمصطفى ﷺ، ولعله يصعب حصرها كلها، لأنها تحتاج إلى بحث متخصص ينوء بها[(٢)]، وسأذكر بعضًا منها في هذا المقام.

حديث الطاعون:

روى عكرمة عن أبيه أو عن عمه عن جده – رضي الله عنه– أنَّ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– قَالَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: "إِذَا وَقَعَ الطَّاعُونُ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا، وَإِذَا وَقَعَ وَلَسْتُمْ بِهَا فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ"[(٣)]، وجاء في سبل الهدى لعله "أن يكون السبب في ذلك أن الشام كانت قديم الزمان ولم تزل معروفة بكثرة الطواعين، فلما قدم النبي – ﷺ – تبوك غازيًا الشام؛ لعله بلغه أن الطاعون في الجهة التي كان يقصدها، فكان ذلك من أسباب رجوعه من غير قتال – والله أعلم"[(٤)]، وهذا كما نرى استنتاج، وليس بالضرورة أن يكون صحيحًا، لأن رجوعه دون قتال له أسباب أخرى، منها أن الغزوة أَنجَزت الهدف المقرر لها، وحققت ما يريد النبي ﷺ من تثبيت لدعائم الدِّين، على الصعيدين الداخلي والخارجي للجزيرة العربية، ومنها أيضًا أنه استشار

(١) المعجم الكبير للطبراني – (ج ١٣ / ص ٤٣٣) [وسنده صحيح].

(٢) ولعل من أفضل الأبحاث في ذلك: مرويات غزوة تبوك.

(٣) مسند أحمد – (ج ٣٢ / ص ٣٩٧) ، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف عكرمة بن خالد: وهو ابن سلمة بن العاص المخزومي.

(٤) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد – (ج ٥ / ص ٤٦٢).

بعض أصحابه فأشاروا إليه بعدم التوغل في ديار العدوّ، فأخذ برأيهم، لا أنه فعل ذلك خوفًا من الطاعون، والله أعلم.

عن أنس بن مالك: أن أكيدر دومة أهدى إلى رسول الله ﷺ جبة حرير، وذلك قبل أن ينهي نبي الله ﷺ عن الحرير، فلبسها فعجب الناس منها فقال النبي ﷺ: "والذي نفس محمد بيده، لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذه"(١).

من أخبار المنافقين:

المنافقون الذين أرادوا إسقاط النبي ﷺ في العقبة لهم شأن في هذه الغزوة، وقد روى مسلم عن حذيفة: قال: قَالَ النبي -ﷺ-: "فِي أصحابي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا فِيهِمْ ثَمَانِيَةٌ لاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ تَكْفِيكَهُمُ الدُّبَيْلَةُ وَأَرْبَعَةٌ" لَمْ أَحْفَظْ مَا قَالَ شُعْبَةُ فِيهِم"(٢).

قيل لرسول ﷺ: يا رسول الله، أفلا تأمر بقتلهم؟ فقال: "**أكره أن يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه**"(٣).

المشاركون في الأجر:

عن أبي هريرة، قال: كنا بتبوك فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، نحن والذين تخلفوا بالمدينة سواء؟ فقال النبي ﷺ: "مهلا يا عمر، حبستهم الحاجات والعلات، لدعاؤهم أسرع إلى عدونا من وقع سلاحنا، يا عمر، لو أن رجلا بالمشرق وآخر بالمغرب دعوا لنالت دعوتهما جماعة المسلمين"(٤)، و عن أنس بن مالك، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: "إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ قَالَ: "وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ"(٥).

---

(١) مسند أحمد بن حنبل - (ج ٣ / ص ٢٣٤) قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد قوي على شرط مسلم.

(٢) صحيح مسلم - (ج ٨ / ص ١٢٢).

(٣) السيرة النبوية لابن كثير - (ج ٤ / ص ٣٥)، وقد جاءت هذه العبارة في موقف آخر في صحيح البخاري، حيث ورد أن النبي ﷺ- رجع من غزوة ، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا ، فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا، حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ . فَخَرَجَ النَّبِيُّ - ﷺ- فَقَالَ «مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ»، ثُمَّ قَالَ «مَا شَأْنُهُمْ»، فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الأَنْصَارِيَّ قَالَ فَقَالَ النبي - ﷺ- «دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ»، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ: أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا، لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلاَ نَقْتُلُ -يَا رَسُولَ اللَّهِ- هَذَا الْخَبِيثَ -لِعَبْدِ اللَّه-؟ فَقَالَ النبي - ﷺ- «لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»(٣) .]

(٤) مسند الشاميين للطبراني - (ج ١ / ص ٤٤٩) ٣٣٨.

(٥) صحيح البخاري - (ج ١٤ / ص ٣٦٢)

فضل عثمان رضي الله عنه:

وجاء عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ جَاءَ عُثْمَانُ إِلَى النبي -ﷺ- بِأَلْفِ دِينَارٍ - قَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَاقِعٍ وَكَانَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ كتابي فِي كُمِّهِ حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ، فَنَثَرَهَا فِي حِجْرِهِ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَرَأَيْتُ النبي -ﷺ- يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ وَيَقُولُ: "مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ" مَرَّتَيْنِ "[1].

وجاء عند ابن كثير :" قال ابن هشام: فحدثني من أثق به أن عثمان أنفق في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض "[2]

حمل البكَّائين:

لما جاء البكاؤون إلى رسول الله ﷺ لحملهم، ولم يجد ما يحملهم عليه، ثم إنه ﷺ جيء بنهب إبل، فأمر لهم بخمس ذود عرِّ الذرى فأخذوها ثم قالوا: تغفلنا رسول الله ﷺ يمينه، والله لا يبارك لنا، فرجعنا فقلنا له: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا اسْتَحْمَلْنَاكَ، فَحَلَفْتَ أَنْ لاَ تَحْمِلَنَا، فَظَنَنَّا أَنَّكَ نَسِيتَ يَمِينَكَ، فقال: "إِنَّ اللَّهَ هُوَ حَمَلَكُمْ ، إِنِّي وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لاَ أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلاَّ أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ ، وَتَحَلَّلْتُهَا"[3].

دخول الحجر:

لما مرَّ رسول الله ﷺ بالحجر قال: "لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، أن يصيبكم ما أصابهم" وتقنع بردائه وهو على الرحل[4].

فضل أُحد ودُور الأنصار:

لما أشرفَ النبي ﷺ على المدينة قَالَ: "هَذِهِ طَابَةُ"، فَلَمَّا رَأَى أُحُدًا قَالَ «هَذَا جُبَيْلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ دُورِ الأَنْصَارِ"، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: "دُورُ بني النَّجَّارِ، ثُمَّ دُورُ بني عَبْدِ الأَشْهَلِ، ثُمَّ دُورُ بني سَاعِدَةَ، أَوْ دُورُ بني الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَفِى كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ - يَعْنِى - خَيْرًا "[5].

علامات الساعة:

عن عوف بن مالك قال: أتيت النبي - ﷺ - في غزوة تبوك، وهو في قبة من أدم فقال: "اعدد ستًا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى

---

(١) سنن الترمذي - (ج ١٣ / ص ٣٠٥)، وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، وانظر :السيرة النبوية لابن كثير - (ج ٤ / ص ٦).

(٢) السيرة النبوية لابن كثير - (ج ٤ / ص ٦)

(٣) صحيح البخاري - (ج ١٨ / ص ٣٣٨).

(٤) السيرة النبوية لابن كثير - (ج ٤ / ص ١٨).

(٥) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٤٨٧)، وانظر: السيرة النبوية لابن كثير - (ج ٤ / ص ٢٢).

يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا"[1].

المطلب الثالث: المعاهدات والكتب والرسائل:

رغم بُعدِ المكان، وعظم الشقة، وانتهاء الأمر دون حرب، إلا أن هذه الغزوة أوجدت من الآثار ما يظهر لكل متأمل، ولعل من أظهر نتائجها ما تصوره تلك المعاهدات والكتب التي أرسلها رسول الهدى ﷺ من هذا المكان (تبوك)، إنها تمثل إرثًا حضاريًا، وتكشف عن أخلاق هذا الدين وقوته، وهذه الرسائل والمعاهدات تستحق أن تفرد ببحوث خاصة، لتبقى إرثًا حضاريًا للمنطقة، يقول ابن حجر بعد ذكر البخاري لحديث قدوم النبي ﷺ وتلقي الصبيان له، وقولهم طلع البدر علينا:" (تَنْبِيه) :فِي إِيرَاد هَذَا الْحَدِيث آخِر هَذَا الْبَاب إِشَارَة إِلَى أَنَّ إِرْسَال الْكُتُب إِلَى الْمُلُوك كَانَ فِي سَنَة غَزْوَة تَبُوك، وَلَكِنْ لا يَدْفَع ذَلِكَ قَوْل مَنْ قَالَ إِنَّهُ كَاتَبَ الْمُلُوك فِي سَنَة الْهُدْنَة كَقَيْصَرَ، وَالْجَمْع بَيْن الْقَوْلَيْنِ أَنَّهُ كَاتَبَ قَيْصَر مَرَّتَيْنِ، وَهَذِهِ الثَّانِيَة قَدْ وَقَعَ التَّصْرِيح بِهَا فِي "مُسْنَد أَحْمَد"، وَكَاتَبَ النَّجَاشِيّ الَّذِي أَسْلَمَ، وَصَلَّى عَلَيْهِ لَمَّا مَاتَ، ثُمَّ كَاتَبَ النَّجَاشِيّ الَّذِي وَلِيَ بَعْده وَكَانَ كَافِرًا، وَقَدْ رَوَى مُسْلِم مِنْ حَدِيث أَنَس قَالَ: كَتَبَ النَّبِيّ ﷺ إِلَى كُلّ جَبَّار يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّه "وَسُمِّيَ مِنْهُمْ كِسْرَى وَقَيْصَر وَالنَّجَاشِيّ، قَالَ: وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي أَسْلَمَ"[2].

وهذا يعني أنّ الكتب التي أرسلت بسبب هذه الغزوة كانت من الكثرة الوفرة بحيث جعلت سنة الغزوة هي سنة المكاتبات والمعاهدات.

ولعل أهم تلك الكتب والمعاهدات ما يلي:

- كتاب إلى هرقل.
- كتاب يُوْحَنَّة بن رؤية صاحب آيله.
- كتاب أهل جربا وأذرح.
- كتاب لأكيدر، ولأهل دومة الجندل.
- كتاب أهل مقنا.

ونظرًا لأهمية تلك الكتب وما تحمله من دلالات؛ فرأينا ضرورة ذكر نصوصها.

أ – كتاب هرقل:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ قَالَ: لَقِيتُ التَّنُوخِيَّ رَسُولَ هِرَقْلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- بِحِمْصَ – وَكَانَ جَاراً

(١) سنن أبي داود – (ج ٢ / ص ٣٨٧).

(٢) فتح الباري لابن حجر – (ج ١٢ / ص ٢٤٨).

لِي شَيْخاً كَبِيراً قَدْ بَلَغَ الْفَنَدَ[1] أَوْ قَرُبَ – فَقُلْتُ: أَلاَ تُخْبِرُنِي عَنْ رِسَالَةِ هِرَقْلَ إِلَى النَّبِي -ﷺ-، وَرِسَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- إِلَى هِرَقْلَ؟ فَقَالِ لي: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- تَبُوكَ، فَبَعَثَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيَّ إِلَى هِرَقْلَ، فَلَمَّا أَنْ جَاءَهُ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- دَعَا قِسِّيسِي الرُّومِ وَبَطَارِقَتَهَا، ثُمَّ أَغْلَقَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ بَاباً فَقَالَ: قَدْ نَزَلَ هَذَا الرَّجُلُ حَيْثُ رَأَيْتُمْ وَقَدْ أَرْسَلَ إِلَيَّ يَدْعُونِي إِلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ: يَدْعُونِي إِلَى أَنْ أَتَّبِعَهُ عَلَى دِينِهِ، أَوْ عَلَى أَنْ نُعْطِيَه مَالَنَا عَلَى أَرْضِنَا؛ وَالأَرْضُ أَرْضُنَا، أَوْ نُلْقِيَ إِلَيْهِ الْحَرْبَ وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُمْ فِيمَا تَقْرَؤُونَ مِنَ الْكُتُبِ لَيَأْخُذَنَّ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ، فَهَلُمَّ نَتَّبِعْهُ عَلَى دِينِهِ أَوْ نُعْطِيهِ مَالَنَا عَلَى أَرْضِنَا. فَنَخَرُوا[2] نَخْرَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ حَتَّى خَرَجُوا مِنْ بَرَانِسِهِمْ، وَقَالُوا تَدْعُونَا إِلَى أَنْ نَدَعَ النَّصْرَانِيَّةَ أَوْ نَكُونَ عَبِيداً لأَعْرَابِيٍّ جَاءَ مِنَ الْحِجَازِ؟ فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّهُمْ إِنْ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ أَفْسَدُوا عَلَيْهِ الرُّومَ؛ رَفَأَهُمْ[3] وَلَمْ يَكَدْ وَقَالَ: إِنَّمَا قُلْتُ ذَلِكَ لَكُمْ لأَعْلَمَ صلاَبَتَكُمْ عَلَى أَمْرِكُمْ، ثُمَّ دَعَا رَجُلاً مِنْ عَرَبِ تُجِيبَ كَانَ عَلَى نَصَارَى الْعَرَبِ، فَقَالَ ادْعُ لِي رَجُلاً حَافِظاً لِلْحَدِيثِ، عَرَبِيَّ اللِّسَانِ أَبْعَثْهُ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ بِجَوَابِ كِتَابِهِ، فَجَاءَ بِي، فَدَفَعَ إِلَيَّ هِرَقْلُ كِتَاباً فَقَالَ: اذْهَبْ بِكِتَابِي إِلَى هَذَا الرَّجُلِ، فَمَا ضَيَّعْتُ مِنْ حَدِيثِهِ، فَاحْفَظْ لِي مِنْهُ ثَلاَثَ خِصَالٍ، انْظُرْ هَلْ يَذْكُرُ صَحِيفَتَهُ التي كَتَبَ إِلَيَّ بشيء وَانْظُرْ إِذَا قَرَأَ كتابي فَهَلْ يَذْكُرُ اللَّيْلَ؟ وَانْظُرْ فِي ظَهْرِهِ هَلْ بِهِ شيء يَرِيبُكَ؟ فَانْطَلَقْتُ بِكِتَابِهِ حَتَّى جِئْتُ تَبُوكَ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ بَيْنَ ظهراني أَصْحَابِهِ، مُحْتَبِياً عَلَى الْمَاءِ، فَقُلْتُ: أَيْنَ صَاحِبُكُمْ؟ قِيلَ: هَا هُوَ ذَا.

فَأَقْبَلْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَنَاوَلْتُهُ كتابي، فَوَضَعَهُ فِي حَجْرِهِ ثُمَّ قَالَ: "مِمَّنْ أَنْتَ"؟ فَقُلْتُ: أَنَا أَحَدُ تَنُوخَ، قَالَ: "هَلْ لَكَ فِي الإِسْلاَمِ الْحَنِيفِيَّةِ مِلَّةِ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ؟ قُلْتُ إِنِّي رَسُولُ قَوْمٍ، وَعَلَى دِينِ قَوْمٍ لاَ أَرْجِعُ عَنْهُ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ، فَضَحِكَ وَقَالَ: ﴿**إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾، يَا أَخَا، تَنُوخَ إِنِي كَتَبْتُ بِكِتَابٍ إِلَى كِسْرَى، فَمَزَّقَهُ وَاللَّهُ مُمَزِّقُهُ وَمُمَزِّقٌ مُلْكَهُ، وَكَتَبْتُ إِلَى النَّجَاشِيِّ بِصَحِيفَةٍ فَخَرَقَهَا، وَاللَّهُ مُخْرِقُهُ وَمُخْرِقٌ مُلْكَهُ، وَكَتَبْتُ إِلَى صَاحِبِكَ بِصَحِيفَةٍ فَأَمْسَكَهَا، فَلَنْ يَزَالَ النَّاسُ يَجِدُونَ مِنْهُ بَأْساً مَا دَامَ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ"، قُلْتُ هَذِهِ إِحْدَى الثَّلاَثَةِ التي أوصاني بِهَا صاحبي، وَأَخَذْتُ سَهْماً مِنْ جعبتي فَكَتَبْتُها في جِلْدِ سيفي، ثُمَّ إِنَّهُ نَاوَلَ الصَّحِيفَةَ رَجُلاً عَنْ يَسَارِهِ قُلْتُ مَنْ صَاحِبُ كِتَابِكُمُ الذي يُقْرَأُ لَكُمْ؟ قَالُوا: مُعَاوِيَةُ، فَإِذَا فِي كِتَابِ صاحبي تدعوني إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، فَأَيْنَ النَّارُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ -: "سُبْحَانَ اللَّهِ، أَيْنَ اللَّيْلُ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ؟"، قَالَ فَأَخَذْتُ سَهْماً مِنْ جعبتي فَكَتَبْتُهُ في جِلْدِ سيفي، فَلَمَّا أَنْ فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ كتابي قَالَ:

---

(١) الفند: الفند الكذب، ويقال للشيخ إذا هرم أفند لأنه يتكلم بالمحرف من الكلام.

(٢) نخر: النخير صوت الأنف.

(٣) رفأ: سكن.

"إِنَّ لَكَ حَقًّا وَإِنَّكَ رَسُولٌ، فَلَوْ وُجِدَتْ عِنْدَنَا جَائِزَةٌ جَوَّزْنَاكَ بِهَا إِنَّا سَفْرٌ مُرْمِلُونَ"، قَالَ: فَنَادَاهُ رَجُلٌ مِنْ طَائِفَةِ النَّاسِ قَالَ: أَنَا أُجَوِّزُهُ، فَفَتَحَ رَحْلَهُ فَإِذَا هُوَ يَأْتِي بِحُلَّةٍ صَفُورِيَّةٍ فَوَضَعَهَا فِي حَجْرِي، قُلْتُ:مَنْ صَاحِبُ الجَائِزَةِ؟ قِيلَ لِي: عُثْمَانُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- "أَيُّكُمْ يُنْزِلُ هَذَا الرَّجُلَ؟"، فَقَالَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا، فَقَامَ الأَنْصَارِيّ وَقُمْتُ مَعَهُ حَتَّى إِذَا خَرَجْتُ مِنْ طَائِفَةِ الْمَجْلِسِ نَادَانِي رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَقَالَ: "تَعَالَ يَا أَخَا تَنُوخَ"، فَأَقْبَلْتُ أَهْوِي[1] إِلَيْهِ حَتَّى كُنْتُ قَائِماً فِي مَجْلِسِي الَّذِي كُنْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَحَلَّ حَبْوَتَهُ عَنْ ظَهْرِهِ وَقَالَ: "هَا هُنَا امْضِ لِمَا أُمِرْتَ لَهُ"، فَجُلْتُ فِي ظَهْرِهِ، فَإِذَا أَنَا بِخَاتَمٍ فِي مَوْضِعِ غُضُونِ الْكَتِفِ؛ مِثْلِ الحَجْمَةِ الضَّخْمَةِ[2].

ب – كتاب أهل أيلة:

كَتَبَ رسول الله ﷺ لِيُحَنّةَ بْنِ رُؤْبَةَ: "بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ، هَذِهِ أَمَنَةٌ مِنْ اللّهِ وَمُحَمّدٍ النّبِيّ رَسُولِ اللّهِ ﷺ لِيُحَنّةَ بْنِ رُؤْبَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةَ، سُفُنُهُمْ وَسَيّارَتُهُمْ فِي الْبَرّ وَالْبَحْرِ لَهُمْ ذِمّةُ اللّهِ وَذِمّةُ مُحَمّدٍ النّبِيّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشّامِ، وَأَهْلِ الْيَمَنِ، وَأَهْلِ الْبَحْرِ فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا، فَإِنّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ وَإِنّهُ طَيّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنْ النّاسِ وَإِنّهُ لَا يَحِلّ أَنْ يُمْنَعُوا مَاءً يَرِدُونَهُ وَلَا طَرِيقًا يُرِيدُونَهُ مِنْ بَرّ أَوْ بَحْرٍ[3].

ونلحظ في هذا الكتاب ذِكر السفن والبحر، مما يشير إلى حضارة كانت قائمة، وأنواع من المواصلات وطرق التنقل شائعة إذاك.

ج – كتاب أهل جرباء وأذرح:

وكتب ﷺ لأهل جرباء وأذرح: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي رسول الله -ﷺ- لأهل أذرح أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ﷺ، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان إلى المسلمين، ومن لجأ إليهم من المسلمين من المخافة"، وذكر باقي الكتاب ، قال: وأعطى النبي صلى الله عليه وسلم أهل أيلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم أمانا لهم، فاشتراه أبو العباس عبد الله بن محمد بثلاثمائة دينار"[4].

كتاب لأكيدر، وأهل دومة الجندل:

وكتَبَ ﷺ لأكيدر كتابًا جاء فيه: "بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ مِنْ مُحَمّدٍ رَسُولِ اللّهِ، لأُكَيْدِرٍ حِينَ

---

(١) أهوي: أتناول باليد .

(٢) مسند أحمد – (ج ٣٣ / ص ١٩٩) قال ابن كثير: هذا حديث غريب وإسناده لا بأس به تفرد به الامام أحمد، انظر: السيرة النبوية لابن كثير – (ج ٤ / ص ٢٨).

(٣) الروض الأنف – (ج ٤ / ص ٣٠٠).

(٤) دلائل النبوة للبيهقي – (ج ٥ / ص ٣٢٩)، وانظر: السيرة النبوية لابن كثير – (ج ٤ / ص ٣٠).

أَجَابَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَخَلَعَ الْأَنْدَادَ، وَالْأَصْنَامَ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ سَيْفِ اللّهِ فِي دُومَةِ الْجَنْدَلِ وَأَكْنَافِهَا، إِنّ لَنَا الضّاحِيَةَ مِنْ الضّحْلِ وَالْبَوْرَ وَالْمَعَامِيَ وَأَغْفَالَ الأَرْضِ وَالْحَلْقَةَ وَالسّلَاحَ وَالْحَافِرَ وَالْحِصْنَ، وَلَكُمْ الضّامِنَةُ مِنْ النّخْلِ وَالْمَعِينِ مِنْ الْمَعْمُورِ، لَا تُعْدَلُ سَارِحَتُكُمْ وَلَا تُعَدّ فَارِدَتُكُمْ وَلَا يُحْظَرُ عَلَيْكُمْ النّبَاتُ تُقِيمُونَ الصّلَاةَ لِوَقْتِهَا، وَتُؤْتُونَ الزّكَاةَ بِحَقّهَا، عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللّهِ وَالْمِيثَاقُ وَلَكُمْ بِذَلِكَ الصّدْقُ وَالْوَفَاءُ، شَهِدَ اللّهُ وَمَنْ حَضَرَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ"[1].

د – كتاب أهل مقنا:

وَكَتَبَ لأَهْلِ مَقْنَا أَنّهُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللّهِ وَأَمَانِ مُحَمّدٍ، وَأَنّ عَلَيْهِمْ رُبْعَ غُزُولِهِمْ وَرُبْعَ ثِمَارِهِمْ[2].

وبالنظر في هذه الكتب نجد أنها تنوعت بحسب من كُتبت له، وأنها حملت الأمان في عمومها، وأنها تنوعّت أماكنها، وكل ذلك يمكن أن يستفاد منها كالآتي:

١. تأكيد سيادة الدولة الإسلامية على أراضيها.
٢. قوة تحمّل وإيمان المجاهدين في التوجه لميدان الجهاد رغم سوء الظروف، جعل الجميع يخضع ويذعن ويطلب المصالحة.
٣. عدم قدرة جيوش روما وحلفاؤها على المواجهة.
٤. مبادرة زعماء الحدود بالطاعة دليلٌ قوي على قوة الإسلام في مقابل روما.
٥. عقد المعاهدة في مكان حدودي (تبوك) لأعظم إمبراطورية؛ لهو دليل قوة المسلمين.[3]
٦. تنظيم نقاط ارتكاز على الحدود الشمالية للجزيرة التي تربطها ببلاد الشام، وذلك بعقد التحالفات مع سكان المنطقة الحيوية.. وقد سهلت هذه الخطة مهمة الفتح الإسلامي بعد ذلك[4].

المطلب الرابع: المعجزات والخوارق:

(١) الروض الأنف – (ج ٤ / ص ٣٠٢)، الضّاحِيَةُ أَطْرَافُ الْأَرْضِ وَالْمَعَامِي: مَجْهُولُهَا، وَأَغْفَالُ الْأَرْضِ مَا لَا أَثَرَ لَهُمْ فِيهِ مِنْ عِمَارَةٍ أَوْ نَحْوِهَا، وَالضّامِنَةُ مِنْ النّخْلِ مَا دَاخَلَ بَلَدَهُمْ وَلَا يُحْظَرُ عَلَيْكُمْ النّبَاتُ أَيْ لَا تُمْنَعُونَ مِنْ الرّعْيِ حَيْثُ شِئْتُمْ وَلَا تُعْدَلُ سَارِحَتُكُمْ أَيْ لَا تُحْشَرُ إلَى أَهْلِ الطّائِفِ حِينَ جَاءُوا تَائِبِينَ لِأَنّ هَؤُلَاءِ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ وَأَخَذَ مَلِكَهُمْ أَسِيرًا، وَلَكِنّهُ أَبْقَى لَهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ مَا تَضَمّنَهُ الْكِتَابُ لِأَنّهُ لَمْ يُقَاتِلْهُمْ حَتّى يَأْخُذَهُمْ عَنْوَةً كَمَا أَخَذَ خَيْبَرَ ، فَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لَكَانَتْ أَمْوَالُهُمْ كُلّهَا لِلْمُسْلِمِينَ وَكَانَ لَهُ الْخِيَارُ فِي رِقَابِهِمْ كَمَا تَقَدّمَ وَلَوْ جَاءُوا إلَيْهِ تَائِبِينَ أَيْضًا قَبْلَ الْخُرُوجِ إلَيْهِمْ كَمَا فَعَلَتْ ثَقِيفٌ مَا أَخَذَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْئًا.

(٢) مغازي الواقدي – (ج ١ / ص ١٠٣١).

(٣) انظر: الأثر والدلالات الإعلامية لرسائل النبي ﷺ إلى الملوك والقادة، أحمد محمد العقيلي، (مطابع خزام، الرياض، ط(١) ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م) ٢٢٩.

(٤) انظر: الغزوات النبوية المطهرة، ١٤٩، ١٥٠.

إن تعدد وكثرة المعجزات التي حصلت بسبب هذه الغزوة، ليعطيها بعدًا آخر من الأهمية والذِّكر، لهذا يصف الصوياني في كتابه السيرة النبوية تبوك بأرض المعجزات فيقول: "ومعجزة أخرى ستحدث على أرض المعجزات تبوك..." [1] ومن تلك المعجزات:

أ – إمطار السحاب ببركة دعائه ﷺ:

خرج المسلمون للغزو في جوٍّ شديد الحرارة، ولم يكن معهم ما يكفي من الماء، مما أدّى إلى شعورهم بالعطش الشديد، فانطلقوا يبحثون عن الماء من حولهم، لكنهم لم يجدوا له أثراً، فاضطرّ كثيرٌ منهم إلى ذبح راحلته وعصر أحشائها لاستخراج الماء الذي بداخلها، فلما رأى أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه حال المؤمنين أسرع إلى النبي – ﷺ – وقال: "يا رسول الله، إن الله قد عوّدك في الدعاء خيراً، فادع لنا"، فقال له: (أتحب ذلك؟)، قال: "نعم"، فرفع النبي – ﷺ – يده إلى السماء، فما كاد أن يرجعهما حتى تجمّع السحاب من كلّ مكان وأظلمت الدنيا، ثم هطل مطرٌ غزيرٌ، فارتوى الناس وسقوا أنعامهم، وملأوا ما معهم من الأوعية، ولما غادروا المكان وجدوا أن تلك السحب لم تجاوز معسكرهم [2].

إخباره بمكان ناقته التي ضلّت:

في الطريق إلى تبوك نزل جيش المسلمين في مكان للراحة، فافتقد النبي – ﷺ – ناقته، وأرسل من يبحث عنها، ولما لم يجدوها، قال أحد المنافقين: " أليس يزعم أنه نبي، ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته ؟ "، فأوحى الله إلى نبيّه بمقولة ذلك المنافق، فدعا النبي – ﷺ – أصحابه وأخبرهم الخبر، ثم قال: (إني والله لا أعلم إلا ما علّمني الله، وقد دلّني الله عليها، وهي في الوادي في شعب كذا وكذا، وقد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتوني بها) فانطلق الصحابة إلى ذلك الموضع، فوجدوها وأتوه بها [3] .

تكثير الماء في عين تبوك، والإخبار عن تحوّلها إلى جنان:

عن معاذ بن جبل –رضي الله عنه– قال: "خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –ﷺ– عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَكَانَ يَجْمَعُ الصَّلاَةَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمًا أَخَّرَ الصَّلاَةَ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا، ثُمَّ دَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلاَ يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ"، فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقَنَا إِلَيْهَا رَجُلاَنِ وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشِّرَاكِ تَبِضُّ بِشَيء مِنْ مَاءٍ – قَالَ – فَسَأَلَهُمَا

(١) السيرة النبوية الصوياني ١٤٨/٤.

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه.

(٣) الروض الأنف، (ج ٤ / ص ٢٩٦).

رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: "هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا؟"، قَالاَ: نَعَمْ، فَسَبَّهُمَا النبي -ﷺ-، وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ - قَالَ - ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلاً قَلِيلاً حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شيء، - قَالَ - وَغَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا، فَجَرَتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ أَوْ قَالَ غَزِيرٍ - شَكَّ أَبُو عَلِيٍّ أَيُّهُمَا قَالَ - حَتَّى اسْتَقَى النَّاسُ ثُمَّ قَالَ: "يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَا هُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا"[1]، وكانت معجزةً عظيمةً تنبّأ فيها النبي - ﷺ — بتحوّل تلك المنطقة القاحلة إلى بساتين خضراء خلال فترةٍ وجيزة، وقد تحقّق ما أخبر عنه - ﷺ —، وصارت منطقة تبوك معروفةً بوفرة أشجارها وكثرة ثمارها.

تكثير الماء في الركوة:

ذكر بعض آيات وقعت في رجوع رسول الله - ﷺ - من تبوك إلى المدينة روى محمد بن عمر، وأبو نعيم عن أبي قتادة - رضي الله عنه- قال: بينا نحن نسير مع رسول الله - ﷺ - في الجيش ليلا وهو قافل وأنا معه إذ خفق خفقة - وهو على راحلته فمال على شقة فدنوت منه فدعمته فانتبه، فقال: " من هذا ؟ " فقلت: أبو قتادة يا رسول الله، خفت أن تسقط فدعمتك، فقال رسول الله - ﷺ - " حفظك الله كما حفظت رسوله " ثم سار غير كثير ثم فعل مثل ذلك هذا فدعمته فانتبه فقال: يا أبا قتادة، هل لك في التعريس ؟ " فقلت: ما شئت يا رسول الله، فقال: " انظر من خلفك " فنظرت فإذا رجلان أو ثلاثة، فقال " ادعهم " فقلت: أجيبوا رسول الله - ﷺ - فجاءوا فعرسنا - ونحن خمسة - برسول الله - ﷺ - ومعي إداوة فيها ماء وركوة لي أشرب فيها، فنمنا فما انتبهنا إلا بحر الشمس، فقلنا: إنا لله فاتنا الصبح، فقال رسول الله - ﷺ -: " لنغيظن الشيطان كما غاظنا " فتوضأ من ماء الإداوة ففضل فضلة فقال: " يا أبا قتادة احتفظ بما في الأداوة والركوة، فإن لهما شانًا" وصلى - ﷺ - بنا الفجر بعد طلوع الشمس، فقرأ بالمائدة، فلما انصرف من الصلاة قال: "أما إنهم لو أطاعوا أبا بكر وعمر لرشدوا"، وذلك أن أبا بكر وعمر أرادا أن ينزلا بالجيش على الماء فأبوا ذلك عليهما، فنزلوا على غير ماء بفلاة من الأرض، فركب رسول الله - ﷺ - فلحق الجيش عند زوال الشمس ونحن معه، وقد كادت أعناق الخيل والرجال والركاب تقطع عطشا، فدعا رسول الله - ﷺ - بالركوة، فأفرغ ما في الإداوة فيها، وضع أصابعه عليها فنبع الماء من بين أصابعه، وأقبل الناس فاستقوا وفاض الماء حتى رووا، ورووا خيلهم، وركابهم، وكان في العسكر اثنا عشر ألف بعير، والناس ثلاثون ألفا، والخيل اثنا عشر ألف فرس، فذلك قول رسول الله - ﷺ - "احتفظ بالركوة والإداوة"[2].

---

(١) صحيح مسلم - (ج ١٥ / ص ١٨٤).

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - (ج ٥ / ص ٤٦٤) .

راوية الماء مع المرأة من بلي:

روى محمد بن عمر، وأبو نعيم عن جماعة من أهل المغازي قال: بينا رسول الله – ﷺ – يسير منحدرًا إلى المدينة، وهو في قيظ شديد، عطش العسكر بعد المرتين الأوليين عطشًا شديدًا حتى لا يوجد للشفة ماء قليل ولا كثير، فشكوا ذلك لرسول الله – ﷺ – فأرسل أسيد بن الحضير في يوم صائف، وهو متلثم، فقال رسول الله – ﷺ – " عسى أن تجد لنا ماء " فخرج أسيد وهو فيما بين تبوك والحجر في كل وجه فيجد راوية من ماء مع امرأة من بلي، فكلمها أسيد، وأخبرها خبر رسول الله – ﷺ – فقالت: فهذا الماء، فانطلق به إلى رسول الله – ﷺ – وقد وصفت له الماء وبينه وبين الطريق هنيهة، فلما جاء أسيد بالماء دعا فيه رسول الله – ﷺ – ودعا فيه بالبركة، ثم قال: " هلم أسقيتكم " فلم يبق معهم سقاء إلا ملأوه، ثم دعا بركابهم وخيولهم، فسقوها حتى نهلت، ويقال إنه –ﷺ– أمر بما جاء به أسيد فصبه في قعب عظيم من عساس أهل البادية فادخل رسول الله – ﷺ – فيه يده، وغسل وجهه ويديه ورجليه، ثم صلى ركعتين، ثم رفع يديه مدًا، ثم انصرف وإن القعب ليفور، فقال رسول الله – ﷺ – للناس: "رِدُوا" فاتسع الماء، وانبسط الناس، حتى يصنف عليه المائة والمائتان فارتووا، وإن القعب ليجيش بالرواء، ثم راح رسول الله – ﷺ – مبردًا مترويًا[1].

تكثير ماء وادي المشقق:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَأَقَامَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِتَبُوكَ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً لَمْ يُجَاوِزْهَا ثُمّ انْصَرَفَ قَافِلًا إلَى الْمَدِينَةِ وَكَانَ فِي الطّرِيقِ مَاءٌ يَخْرُجُ مِنْ وَشَلٍ يُرْوِي الرّاكِبَ وَالرّاكِبَيْنِ وَالثّلَاثَةَ بِوَادٍ يُقَالُ لَهُ وَادِي الْمُشَقّقِ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَنْ سَبَقَنَا إلَى ذَلِكَ الْمَاءِ فَلَا يَسْتَقِيَنّ مِنْهُ شَيْئًا حَتّى نَأْتِيَهُ قَالَ فَسَبَقَهُ إلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ الْمُنَافِقِينَ فَاسْتَقَوْا فَلَمْ يَرَ فِيهِ شَيْئًا فَقَالَ مَنْ سَبَقَنَا إلَى هَذَا الْمَاءِ ؟ فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللّهِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، فَقَالَ أَوَلَمْ أَنْهَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنْهُ شَيْئًا حَتّى آتِيَهُ ثُمّ لَعَنَهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَدَعَا عَلَيْهِمْ ثُمّ نَزَلَ فَوَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ الْوَشَلِ فَجَعَلَ يَصُبّ فِي يَدِهِ مَا شَاءَ اللّهُ أَنْ يَصُبّ ثُمّ نَضَحَهُ بِهِ وَمَسَحَهُ بِيَدِهِ وَدَعَا رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِمَا شَاءَ اللّهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهِ فَانْخَرَقَ مِنْ الْمَاءِ – كَمَا يَقُولُ مِنْ سَمْعِهِ – مَا إنّ لَهُ حِسّا كَحِسّ الصّوَاعِقِ فَشَرِبَ النّاسُ وَاسْتَقَوْا حَاجَتَهُمْ مِنْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَئِنْ بَقِيتُمْ أَوْ مَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ لَيَسْمَعَنّ بِهَذَا الْوَادِي وَهُوَ أَخْصَبُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَا خَلْفَهُ[2].

كثرة السمن وجريانه :

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد – (ج ٥ / ص ٤٦٥)

(٢) زاد المعاد – (ج ٣ / ص ٤٧١)

روى الطبراني برجال وثقوا، وأبو نعيم عن محمد بن حمزة بن عمرو الاسمي عن أبيه عن جده – ﷺ– قال: خرج رسول الله – ﷺ – إلى غزوة تبوك، وكنت على خدمته ذلك، فنظرت إلى نحي السمن قد قلَّ ما فيه، وهيأت للنبي – ﷺ – طعامًا فوضعت النحي في الشمس، ونمت فانتبهت بخرير النحي، فقمت فأخذت رأسه بيدي، فقال رسول الله – ﷺ – ورآني: "لو تركته لسال الوادي سمنا"[1].

نشاط الرواحل بعد هزالها، والتنبؤ بذكر ركوب البحر:

روى الطبراني بسند صححه الشيخ وحسنة الحافظ –خلافًا لمن ضعفه– عن فضالة ابن عبيد –ﷺ– أن رسول الله – ﷺ – غزا غزوة تبوك فجهد الظهر جهدًا شديدًا، فشكوا ذلك إليه، ورآهم يزجون ظهرهم، فوقف في مضيق والناس يمرون فيه، فنفخ فيها وقال: "اللهم احمل عليها في سبيلك فإنك تحمل على القوي والضعيف، والرطب واليابس؛ في البر والبحر"، فاستمرت فما دخلنا المدينة إلا وهي تنازعنا أزمتها [2].

وفي ذكر الحمل في البحر في قوله (فإنك تحمل... في البر والبحر) إخبارٌ بأمر غيبيّ، وهو استخدام الصحابة للسفن في الغزو والجهاد، وقد أشار فضالة بن عبيد الأنصاري ﷺإلى ذلك فقال: "فلما قدمنا الشام غزونا في البحر، فلما رأيت السفن وما يدخل فيها عرفت دعوة النبي –ﷺ–"[3].

تكثير الطعام :

أصاب الناس المجاعة نظراً لقلّة الزاد، وبعد المكان، فاستأذن بعض الصحابة النبي — ﷺ — في ذبح الإبل والأكل منها، فأذن لهم، فجاء عمر بن الخطّاب ﷺ إلى النبي — ﷺ — وبيّن له أن ذلك سيتسبّب في قلّة الرواحل، واقترح عليه أن يأمر الناس بجمع ما لديهم من طعامٍ قليلٍ، ثم الدعاء له بالبركة، فكان الرجل يأتي بكفّ التمر، وآخرُ يأتي بالكسرة، وثالثٌ بكفّ الذرة، حتى اجتمع شيءٌ يسير، ودعا النبي – ﷺ — أن يُبارك الله لهم في طعامهم، فأخذوا في أوعيتهم، حتى ما تركوا في المعسكر وعاء إلا ملأوه، وأكلوا حتى شبعوا وبقيت زيادة، فقال النبي — ﷺ –: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة"[4].

بركة الطعام:

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (١٥٥). وانظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد – (ج ٥ / ص ٤٦٠).

(٢) الطبراني في الكبير ١١ / ٣٠١ وابن حبان ذكره الهيثمي في الموارد (١٧٠٦)، وانظر المجمع ٦ / ١٩٣، والبيهقي في الدلائل ٦ / ١٥٥، وابن كثير في البداية ٦ / ١٨٦.

(٣) مسند أحمد – (ج ٥٢ / ص ٢٨٩).

(٤) صحيح مسلم – (ج ١ / ص ٥٥).

عن عرباض بن سارية قال: كنت ألزم باب رسول الله – ﷺ – في الحضر والسفر فرأينا ليلة ونحن بتبوك وذهبنا لحاجة فرجعنا إلى منزل رسول الله – ﷺ – وقد تعشى ومن عنده من أضيافه ورسول الله – ﷺ – يريد أن يدخل في قبته ومعه زوجته أم سلمة فلما طلعت عليه قال: أين كنت منذ الليلة فأخبرته فطلع جعال بن سراقة وعبد الله بن مغفل المزني فكنا ثلاثة كلنا جائع إنما نعيش بباب النبي – ﷺ – فدخل رسول الله – ﷺ – البيت فطلب شيئا نأكله فلم نجده فخرج إلينا فنادى بلالا يا بلال، هل من عشاء لهؤلاء النفر؟ قال: لا والذي بعثك بالحق، لقد نفضنا جربنا وحميتنا، قال: "انظر عسى أن تجد شيئًا" فأخذ الجرب ينفضها جرابا جرابًا فتقع التمرة والتمرتان، حتى رأيت بين يديه سبع تمرات، ثم دعا بصحفة فوضع فيها التمر ثم وضع يده على التمرات، وسمى الله وقال: "كلوا بسم الله"، فأكلنا فأحصيت أربعة وخمسين تمرة أكلتها أعدها ونواها في يدي الأخرى وصاحباي يصنعان ما أصنع وشبعنا وأكل كل واحد منهما خمسين تمرة ورفعنا أيدينا فإذا التمرات السبع كما هي، فقال: يا بلال، ارفعها في جرابك، فإنه لا يأكل أحد إلا نهل شبعا، فبتنا حول قبة رسول الله – ﷺ – فكان يتهجد من الليل، فقام تلك الليلة يصلي؛ فلما طلع الفجر ركع ركعتي الفجر، فأذن بلال وأقام، فصلَّى رسول الله – ﷺ – بالناس ثم انصرف إلى فناء قبته، فجلس وجلسنا حوله فقراء من المؤمنين عشرة، فقال: "هل لكم في الغداء؟" قال عرباض: فجعلت أقول في نفسي أي غدا؟ فدعا بلال بالتمرات، فوضع يده عليهن في الصحفة، ثم قال: "كلوا بسم الله" فأكلنا والذي بعثه بالحق حتى شبعنا، وإنا لعشرة، ثم رفعوا أيديهم منها شبعًا، وإذا التمرات كما هي فقال رسول الله – ﷺ – لولا أني استحى من ربي؛ لأكلنا من هذه التمرات حتى نرد المدينة من آخرنا، فطلع غليم من أهل المدينة فدفعها إليه، فولى الغلام يلوكهن[1].

التنبّؤ بحال ملك كندة:

حينما وصل المسلمون إلى تبوك لم يجدوا فيها أثراً لجيوش الروم أو القبائل الموالية لها، فبعث النبي – ﷺ – خالد ابن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك رجل من كندة كان ملكا على دومة وكان نصرانيا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : « إنك ستجده يصيد البقر » ، فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه منظر العين في ليلة مقمرة صافية ، وهو على سطح ومعه امرأته ، فأتت البقر تحك بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا والله ، قالت : فمن يترك مثل هذا ؟ قال : لا أحد ، فنزل فأمر بفرسه فأسرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له حسان ، فخرجوا معهم بمطاردهم فتلقتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذته وقتلوا أخاه حسان ، وكان عليه قباء ديباج مخوص بالذهب فاستلبه إياه خالد بن الوليد ، فبعث به إلى رسول الله صلى الله

(١) أخرجه ابن عساكر (١٨٨/٤٠) ، وانظر: [كنز العمال ٣٥٥٠٢] (١٨٨/٤٠).

عليه وسلم قبل قدومه عليه ، ثم إن خالدا قدم بالأكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحقن له دمه ، وصالحه على الجزية ، وخلى سبيله، فرجع إلى قريته"[1]

الإخبار عن الريح والرجل الذي تنقله.

حذّر النبي ﷺ أصحابه وهو في تبوك فقال: رسول الله ﷺ: "سَتَهُبُّ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلاَ يَقُمْ فِيهَا أَحَدٌ مِنْكُمْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيَشُدَّ عِقَالَهُ"، فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ بِجَبَلَيْ طَيِّئٍ، وَجَاءَ رَسُولُ ابْنِ الْعَلْمَاءِ صَاحِبِ أَيْلَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- بِكِتَابٍ، وَأَهْدَى لَهُ بَغْلَةً بَيْضَاءَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَأَهْدَى لَهُ بُرْدًا[2].

إخباره عن موت أبي ذر ﷺ:

كان أبو ذرّ الغفاري -رضي الله عنه- ممّن تأخّر عن الجيش في غزوة تبوك، ثم لحق به بعد ذلك، ولما رآه النبي — ﷺ – مقبلاً نحو الجيش يمشي وحده قال: (رحم الله أبا ذر؛ يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده)، ومضت سنين طويلة حتى جاءت خلافة عثمان بن عفّان رضي الله عنه، فانتقل أبو ذر ﷺ للعيش في منطقة "الربذة"، وعندما حضره الموت أوصى امرأته وغلامه أن يقوموا بتغسيله وتكفينه ووضعه في طريق المسلمين عسى أن يمرّ به من يقوم بدفنه، فأقبل عبد الله بن مسعود ﷺ في جماعةٍ من أهل الكوفة، وما أن عرفه حتى بكى وتذكر النبوءة وقال: " صدق رسول الله ﷺ " ثم تولّى دفنه بنفسه[3].

تلك هي المعجزات التي شهِدتها غزوة تبوك، والتي تُعتبر خاتمةً لدلائل كثيرةٍ، ومعجزات باهرةٍ، وقف عليها الصحابة من أحوال النبي – ﷺ — في المعارك، وبقيت شاهدةً على صدق نبوّته، وعظمة رسالته ﷺ، وهي تُشعر كل من قرأ أحداث هذه الغزوة بالجلال والعظمة التي اكتنفت زمان ومكان تلك الغزوة، كما أنها تُشعر بعظم نصر الله وتأييده لأوليائه لما أطاعوه، وسعوا في مرضاته.

المطلب الخامس: الأحكام الشرعية:

ومما حوته تلك الغزوة في بعديها الزماني والمكاني تلك التوجيهات والأحكام والتشريعات التي صاحبتها، ومنها:

أ – صلاة النبي ﷺ خلف عبد الرحمن بن عوف:

عن عُرْوَةَ بْنَ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- تَبُوكَ – قَالَ الْمُغِيرَةُ – فَتَبَرَّزَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قِبَلَ الْغَائِطِ فَحَمَلْتُ مَعَهُ

(١) دلائل النبوة للبيهقي – (ج ٥ / ص ٣٣١)

(٢) صحيح مسلم – (ج ١٥ / ص ١٨٥)، وانظر: السيرة النبوية لابن كثير – (ج ٤ / ص ٢٢).

(٣) انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص – (ج ٤ / ص ١١٣).

إِدَاوَةً قَبْلَ صَلاَةِ الْفَجْرِ فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِلَىَّ أَخَذْتُ أُهَرِيقُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الإِدَاوَةِ وَغَسَلَ يَدَيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثُمَّ ذَهَبَ يُخْرِجُ جُبَّتَهُ عَنْ ذِرَاعَيْهِ فَضَاقَ كُمَّا جُبَّتِهِ فَأَدْخَلَ يَدَيْهِ فِى الْجُبَّةِ حَتَّى أَخْرَجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْ أَسْفَلِ الْجُبَّةِ. وَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثُمَّ تَوَضَّأَ عَلَى خُفَّيْهِ ثُمَّ أَقْبَلَ - قَالَ الْمُغِيرَةُ - فَأَقْبَلْتُ مَعَهُ حَتَّى نَجِدُ النَّاسَ قَدْ قَدَّمُوا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ فَصَلَّى لَهُمْ فَأَدْرَكَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِحْدَى الرَّكْعَتَيْنِ فَصَلَّى مَعَ النَّاسِ الرَّكْعَةَ الآخِرَةَ فَلَمَّا سَلَّمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يُتِمُّ صَلاَتَهُ فَأَفْزَعَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ فَأَكْثَرُوا التَّسْبِيحَ فَلَمَّا قَضَى النَّبِىُّ -صلى الله عليه وسلم- صَلاَتَهُ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ « أَحْسَنْتُمْ ». أَوْ قَالَ « قَدْ أَصَبْتُمْ ». يَغْبِطُهُمْ أَنْ صَلَّوُا الصَّلاَةَ لِوَقْتِهَا[1].

قبول الهدايا وردها:

كان ﷺ "لا يَقْبَلُ هَدِيّةَ مُشْرِكٍ مُحَارِبٍ...وَقَبِلَهَا مِنْ الْمُقَوْقِسِ، لأَنّهُ لَمْ يَكُنْ مُحَارِبًا لِلإِسْلامِ، بَلْ كَانَ قَدْ أَظْهَرَ الْمَيْلَ إلَى الدّخُولِ فِي الدّينِ، وَقَدْ رَدّ هَدِيّةَ أَبِي بَرَاءٍ مُلاعِبِ الأَسِنّةِ وَكَانَ أَهْدَى إلَيْهِ فَرَسًا[2] في تبوك.

الضرب بالدف:

روى أبو داود وسعيد ابن منصور أن امرأة قالت: يا رسول الله، إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدف، فقال النبي ﷺ أوفي بنذرك[3]، ورُوي أن ذلك كان مقدمه من تبوك.

أكل الجبن:

عن ابن عمر قال: أتى النبي ﷺ بجنبة في تبوك، فدعا بسكين فسمى وقطع[4].

اللُعَب المجسمة:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَوْ خَيْبَرَ وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ، فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَبٍ، فَقَالَ: "مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ"، قَالَتْ: بَنَاتِي، وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ فَقَالَ: "مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسْطَهُنَّ"، قَالَتْ: فَرَسٌ، قَالَ: "وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ"، قَالَتْ: جَنَاحَانِ، قَالَ: "فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟"، قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلاً لَهَا

(١) صحيح مسلم - (ج ٢ / ص ٢٦)

(٢) الروض الأنف - (ج ٤ / ص ٣٠٤).

(٣) مختصر إرواء الغليل - (ج ١ / ص ٥١٥) ٢٥٨٨ - (صحيح)

(٤) قال الشيخ الألباني: حسن الإسناد.

أَجْنِحَةٌ؟ قَالَتْ: فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ[1].

استقبال المسافر:

عن السائب بن يزيد – ﷺ– قال: "ذهبنا نَتَلَقَّى رسول الله –ﷺ– مع الصِّبيان إلى ثنيَّةِ الوَدَاع"، زاد في رواية: "مقْدَمَه من غزوَةِ تَبُوكَ"، وفي رواية قال: "أَذْكُرُ أَنِّي خرجتُ مع الصبيان – وفي أخرى: الغلمان – نتلقَّى النبيَّ –ﷺ– إلى ثنيَّةِ الوداع، مقدَمَه من تبوكَ". أخرجه البخاري[2].

وفي رواية الترمذي: "لما قدِم رسول الله –ﷺ– من تبوك خرج الناس يَتَلَقَّونه إلى ثنية الوداع، فخرجتُ مع الناس وأنا غلام".

المرأة المقتولة:

عن عبد الرحمن بن حرملة قال: حدثني رجل يقال له عدي: كان بينه وبين امرأتين جوار، فرمى إحداهما بحجر فقتلها، فركب إلى رسول الله – ﷺ – وهو بتبوك، فسأله عن شأن المرأة المقتولة فقال: تعقلها ولا ترثها، قال عدي: فكأني أنظر إلى رسول الله – ﷺ – على ناقة حمراء جدعاء فقال: أيها الناس إنما الأيدي ثلاث: يد الله هي العليا ويد المعطي الوسطى ويد المعطى السفلى، فتعففوا ولو بحزم حطب" ثم رفع يديه فقال: "اللهم بلغت"[3].

تمكين الوضوء:

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– بِتَبُوكَ مِنْ آخِرِ السَّحَرِ وَهُوَ فِي فُسْطَاطٍ – أَوْ قَالَ قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ – قَالَ: فَسَأَلْتُ ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُ، فَقُلْتُ: أَدْخُلُ؟، فَقَالَ: "ادْخُلْ"، قُلْتُ: كُلِّي؟ قَالَ: "كُلُّكَ"، قَالَ: فَدَخَلْتُ وَإِذَا هُوَ يَتَوَضَّأُ وُضُوءًا مَكِيناً[4].

الجمع بين صلاتين حال النزول في السفر:

قال بعض الصحابة: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك فكان يجمع الصلاة، فصلى الظهر والعصر جميعًا، والمغرب والعشاء جميعًا، حتى إذا كان يومًا أخَّر الصلاة، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعًا، ثم دخل ثم خرج بعد ذلك؛ فصلى المغرب والعشاء جميعًا[5].

قال أبو بكر: "في الخبر ما بان وثبت أن النبي ﷺ قد جمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء،

---

(١) سنن أبي داود – (ج ١٤ / ص ٢٤١) ٤٩٣٤.

(٢) جامع الأصول من أحاديث الرسول (أحاديث فقط) – (ج ٥ / ص ٣٠٢٦)، صحيح البخاري – (ج ٤ / ص ١٦١٠).

(٣) مسند أبي يعلى – (ج ١٢ / ص ٢٦٥) ٦٨٥٩، قال حسين سليم أسد: رجاله ثقات.

(٤) مسند أحمد – (ج ٥٢ / ص ٣١٤) ٢٤٧٠٦، قال: شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد جيد.

(٥) صحيح مسلم – (ج ٤ / ص ١٧٨٤).

وهو نازل في سفره غير سائر وقت جمعه بين الصلاتين؛ لأن قوله: أخّر الصلاة يومًا، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعًا، ثم دخل، ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعًا، تُبيّن أنه لم يكن راكبًا سائرًا في هذين الوقتين اللذين جمع فيهما بين المغرب والعشاء، وبين الظهر والعصر، وخبر ابن عمر أن النبي ﷺ كان إذا جد به السير جمع بين الصلاتين ليس بخلاف هذا الخبر؛ لأن ابن عمر قد رأى النبي ﷺ جمع بينهما حين جد به السير، فأخبر بما رأى من فعل النبي ﷺ، ومعاذ بن جبل قد رأى النبي ﷺ قد جمع بين الصلاتين، وهو نازل في المنزل غير سائر، فخبر بما رأى النبي ﷺ فعله، فالجمع بين الصلاتين إذا جد بالمسافر السير جائز، كما فعله النبي ﷺ، وكذلك جائز له الجمع بينهما، وإن كان نازلا لم يجد به السير كما فعله ﷺ، ولم يقل ابن عمر إن الجمع بينهما غير جائز إذا لم يجد به السير لا أثرًا عن النبي ﷺ ذلك، ولا مخبرًا عن نفسه[1].

المسح على الخفين:

عن عروة بن المغيرة عن أبيه المغيرة بن شعبة قال ذهب النبي – ﷺ – لبعض حاجته، فقمت أسكب عليه الماء – لا أعلمه إلا قال في غزوة تبوك – فغسل وجهه، وذهب يغسل ذراعيه فضاق عليه كم الجبة، فأخرجهما من تحت جبته فغسلهما ثم مسح على خفيه[2]، وفي رواية: "ثم أهويت لأنزع خفيه فقال "دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين"، ومسح عليهما"[3].

وعن عوف بن مالك قال: "أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ بِالْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، وَلَيَالِيهِنَّ لِلْمُسَافِرِ، وَيَوْمًا، وَلَيْلَةً لِلْمُقِيمِ"[4].

سترة المصلِّي:

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– سُئِلَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ عَنْ سُتْرَةِ الْمُصَلِّى فَقَالَ: "كَمُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ"[5].

الصيام في السفر:

عن جابر بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة تبوك، وكانت تدعى (غزوة العسرة) فبينما نسير فعندما أضحى النهار فإذا هو بجماعة تحت ظل شجرة فقالوا: يا رسول الله، رجل صائم؛ فجهده الصوم، فقال ﷺ: "ليس البر أنْ تصوموا في السفر"[6].

---

(١) صحيح ابن خزيمة – (ج ٤ / ص ٥٧).

(٢) صحيح البخاري – (ج ٤ / ص ١٦٠٩).

(٣) رواه البزار والطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح.

(٤) مسند البزار – (ج ٤ / ص ٣٠٧)، ورواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح.

(٥) صحيح مسلم – (ج ٣ / ص ٣٦٨) ١١٤٢.

(٦) صحيح ابن حبان – (ج ٨ / ص ٣٢١)، قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين غير عمارة بن غزية فمن رجال

إهدار حق المعتدي:

عن صفوان بن يعلى عن أبيه ﷺ قال: غزوت مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك، فحملت على بكر فهو أوثق أعمالي في نفسي، فاستأجرت أجيرًا فقاتل رجلاً، فعض أحدهما الآخر فانتزع يده من فيه ونزع ثنيته، فأتى النبي ﷺ فأهدرها فقال: "أيدفع يده إليك فتقضمها كما يقضم الفحل"[1].

التجارة في الغزو

عَنْ خَارِجَةَ بن زَيْدِ بن ثَابِتٍ، قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلا سَأَلَ أَبِي عَنْ رَجُلٍ يَغْزُو وَيَبِيعُ وَيُشْتَرِي وَيَتَّجِرُ فِي غَزْوَتِهِ؟ فَقَالَ لَهُ أَبِي: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَبُوكَ نَشْتَرِي وَنَبِيعُ، وَهُوَ يَرَانَا فَمَا يَنْهَانَا[2].

المطلب السادس: الأشعار:

شِعْرُ الضّحّاكِ فِي تَحْرِيقِ بَيْتِ سُوَيْلِمٍ:

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَحَدّثَنِي الثّقَةُ عَمّنْ حَدّثَهُ عَنْ مُحَمّدِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الرّحْمَنِ عَنْ إسْحَاقَ بْنِ إبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ حَارِثَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدّهِ قَالَ بَلَغَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّ نَاسًا مِنْ الْمُنَافِقِينَ يَجْتَمِعُونَ فِي بَيْتِ سُوَيْلِمٍ الْيَهُودِيّ، وَكَانَ بَيْتُهُ عِنْدَ جَاسُومٍ، يُثَبّطُونَ النّاسَ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَبَعَثَ إلَيْهِمْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللّهِ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يُحَرّقَ عَلَيْهِمْ بَيْتَ سُوَيْلِمٍ فَفَعَلَ طَلْحَةُ، فَاقْتَحَمَ الضّحّاكُ بْنُ خَلِيفَةَ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ فَانْكَسَرَتْ رِجْلُهُ وَاقْتَحَمَ أَصْحَابُهُ فَأَفْلَتُوا. فَقَالَ الضّحّاكُ فِي ذَلِكَ.

كَـــادَتْ وَبَيْـــتِ اللّـــهِ نَـــارُ مُحَمّـــدٍ ... يَشِـــيطُ بِهَـــا الضّـــحّاكُ وَابْـــنُ أُبَـــيْرِقِ

وَظَلْـــت وَقَـــدْ طَبّقْـــت كَـــبْسَ سُـــوَيْلِمٍ ... أَنُـــوءُ عَلَـــى رِجْلِـــي كَسِـــيرًا وَمِرْفَقِـــي

سَـــلَامٌ عَلَـــيْكُمْ لاَ أَعُـــودُ لِمِثْلِهَـــا ... أَخَـــافُ وَمَـــنْ تَشْـــمَلُ بِـــهِ النّـــارُ يُحْـــرَقِ[3]

وصف حال أكيدر:

قال بجير بن بجرة الطائي يصف كلام النبي ﷺ لخالد بن الوليد في شأن أكيدر: إنك ستجده يصيد البقر:

تبـــارك ســـائق البقـــرات إني ... رأيـــت الله يهـــدي كـــل هـــاد

مسلم.

(١) صحيح البخارى - (ج ١٠ / ص ٤٨٥)؟

(٢) المعجم الكبير للطبراني - (ج ٥ / ص ٥٢) ٤٧٤٢.

(٣) الروض الأنف - (ج ٤ / ص ٢٩٣).

فمـــن يلـــك حائـــدًا عـــن ذي تبـــوكٍ فإنـــا قـــد أمرنـــا بالجهـــاد[1]

زاد فيه غيره وليس في روايتنا : فقال له النبي ﷺ: "لا يفضض الله فاك"، فأتى عليه تسعون سنة فما تحرك له ضرس ولا سن[2] .

الدخول في المدينة:

جاء عن سُفْيَانُ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ السَّائِبِ أَذْكُرُ أَنِّي خَرَجْتُ مَعَ الصِّبْيَانِ نَتَلَقَّى النبي - ﷺ - إِلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ مَقْدَمَهُ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ"[3]، وذكر أهل السير أن رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لما مِنْ الْمَدِينَةِ عائدا من تبوك خَرَجَ النّاسُ لِتَلَقّيهِ وَخَرَجَ النّسَاءُ ، يقولون:

طَلَعَ الْبَـدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيّاتِ الْوَدَاع
وَجَبَ الشّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا لِلّهِ دَاعِي

وَبَعْضُ الرّوَاةِ يَهِمُ فِي هَذَا وَيَقُولُ إنّمَا كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ مَقْدِمِهِ إلَى الْمَدِينَةِ مِنْ مَكّةَ وَهُوَ وَهْمٌ ظَاهِرٌ لِأَنّ ثَنِيّاتِ الْوَدَاعِ إنّمَا هِيَ مِنْ نَاحِيَةِ الشّامِ لَا يَرَاهَا الْقَادِمُ مِنْ مَكّةَ إلَى الْمَدِينَةِ وَلَا يَمُرّ بِهَا إلّا إذَا تَوَجّهَ إلَى الشّامِ فَلَمّا أَشْرَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ هَذِهِ طَابَةُ وَهَذَا أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبّنَا وَنُحِبّهُ[4] .

مَدْحَ الْعَبّاس لَهُ ﷺ:

لَمّا دَخَلَ النبي ﷺ المدينة قادمًا من تبوك؛ قَالَ الْعَبّاسُ يَا رَسُولَ اللّهِ ائْذَنْ لِي أَمْتَدِحُك، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "قُلْ، لا يَفْضُضْ اللّهُ فَاكَ" فَقَالَ:

مِـــنْ قَبْلِهَـــا طِبْـــتَ فِي الظّـــلاَلِ وَفِي مُسْـــتَوْدَعٍ حَيْـــثُ يُخْصَـــفُ الْـــوَرَق
ثُمّ هَبَطْـــــتَ الْـــــبِلَادَ لا بَشَـــــرٌ أَنْـــــتَ وَلَا مُضْـــــغَةٌ وَلَا عَلَـــــقٌ
بَـــلْ نُطْفَـــةٌ تَرْكَـــبُ السّـــفِينَ وَقَـــد أَجْمَـــعَ نَسْـــرًا وَأَهْلَـــهُ الْغَـــرَقُ
وردت نـــــار الخليـــــل مكتتمـــــا تجـــول فيهـــا ولـــيس تحـــترق[5]
تُنْقَـــلُ مِـــنْ صَـــالِبٍ إلَى رَحِـــمٍ إذَا مَضَـــى عَـــالَمٌ بَـــدَا طَبَـــقُ
حَـــتّى احْتَـــوَى بَيْتُـــكَ الْمُهَـــيْمِنُ مِـــنْ خِنْـــدِفَ عَلْيَـــا تَحْتَهَـــا النّطُـــقُ

(١) دلائل النبوة - (ج ٥ / ص ٣٣١)، وانظر: سرايا رسول الله ﷺ، أبو تراب الظاهري (مطبوعات تهامة، جدة، ط (١) ١٤٠٤، ١٩٨٤، ٤٨١).

(٢) دلائل النبوة - (ج ٥ / ص ٣٣١).

(٣) صحيح البخاري - (ج ١٤ / ص ٣٦٧).

(٤) زاد المعاد - (ج ٣ / ص ٤٨٠)

(٥) ذكر هذا البيت في: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - (ج ١ / ص ٧٠).

وَأَنْـــتَ لَمّـــا وُلِـــدْتَ أَشْـــرَقَتْ الْـــ أَرْضُ وَضَـــاءَتْ بِنُـــورِك الْأُفُـــقُ
فَـــنَحْنُ فِي ذَلِـــكَ الضّـــيَاءِ وَفِي النّـــ ـــورِ وَسُـــبْلِ الرّشَـــادِ نَخْـــتَرِقُ(١)

شعر أبي خيثمة:

صّور أبو خيثمة تأخره عن النبي ﷺ شعرًا، ثم إنه أدركه بعد ذلك، يقول ابْنُ هِشَامٍ: وَقَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ فِي ذَلِكَ[٢] شِعْرًا، وَاسْمُهُ مَالِكُ بْنُ قَيْسٍ:

لَمّـــا رَأَيْـــت النّـــاسَ فِي الـــدّينِ نَـــافَقُوا أَتَيْت الّتِي كَانَتْ أَعَفّ وَأَكْرَمَا
وَبَايَعْـــت بِـــالْيُمْنَى يَـــدِي لِمُحَمّـــدٍ فَلَمْ أَكْتَسِبْ إثْمًا وَلَمْ أَغْشَ مَحْرَمَا
تَرَكْـــت خَضِـــيبًا فِي الْعَـــرِيشِ وَصِـــرْمَةً صَفَايَا كِرَامًا بُسْرُهَا قَدْ تَحَمّمَا
وَكُنْـــت إذَا شَـــكّ الْمُنَـــافِقُ أَسْمَحْـــت إلَى الدّينِ نَفْسِي شَطْرَهُ حَيْثُ يَمّمَا[٣]

المطلب السابع: البشائر النبوية:

ب – جنان تبوك:

قال النبي ﷺ عن عين تبوك: "إنكم ستأتون غدًا إن شاء الله عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء قال فسألهما رسول الله صلى الله عليه و سلم هل مسستما من مائها شيئا ؟ قالا نعم فسبهما النبي صلى الله عليه و سلم وقال لهما ما شاء الله أن يقول قال ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلا قليلا حتى اجتمع في شيء قال وغسل رسول الله صلى الله عليه و سلم فيه يده ووجهه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر أو قال غزير – شك أبو علي أيهما قال – حتى استقى الناس ثم قال: "يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جنانًا"[٤].

وسَبَبُ إِخْبَارِهِ بِذَلِكَ لِمُعَاذٍ خصوصًا؛ لأَنَّ مُعَاذًا كَانَ مِمَّنْ اسْتَوْطَنَ الشَّامَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَاتَ بِهَا، وذُكِرَ أَنَّ فِي ذَلك دليلاً عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا خَصَّهُ بِالْإِخْبَارِ عَنْ ذَلِكَ لَمَّا عَلِمَ بِالْوَحْيِ أَنَّهُ يَرَى ذَلِكَ الْمَوْضِعَ وَقَدْ مُلِئَ جِنَانًا، وَلَعَلَّهُ ﷺ قَدْ أَشَارَ إِلَى أَنَّهُ سَيَمْتَلِئُ جِنَانًا بِمَاءِ تِلْكَ الْعَيْنِ بِبَرَكَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَفِي هَذَا الْخَبَرِ مِنْ الْمُعْجِزَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالدِّلَالَةِ الْبَيِّنَةِ عَلَى نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ مَا لَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُ مُعْجِزَةٌ غَيْرَهَا لَظَهَرَتْ

(١) زاد المعاد – (ج ٣ / ص ٤٨٠).
(٢) أي في قصة تأخره ثم لحاقه بالنبي صلى الله عليه وسلم.
(٣) الروض الأنف – (ج ٤ / ص ٢٩٥).
(٤) صحيح مسلم – (ج ٤ / ص ١٧٨٤).

حُجَّتُهُ وَتَبَيَّنَ صِدْقُهُ[1].

ويشير كلام للبيهقي ببقاء تلك العين بكثرة مائها إلى عهده، حيث يقول: "وروينا زيادة ماء تلك العين بمضمضته فيها عن عروة بن الزبير، وقال: هي كذلك حتى الساعة[2].

ولا يساعد نص الحديث صاحب المنتقى فيما ذهب إليه من معنى رؤية معاذ لتلك الجنان، بل إن النص يُشعر بضد ذلك، ولو أريد أنه يراها لقال: وسترى ما هاهنا ملئ جنانًا، أمَّا لماذا معاذ خصوصًا؛ فلعله قد علم بعلم الله طول عمره، وشهوده بلاد الشام المشهورة بجنانها، فناسب أن يذكر ما يتلاءم مع حاله، أو لأن معاذ ممن له معرفة بجنان الشام من قبل.

ومعنى: (قَدْ مُلِئَ جِنَانًا) "أَيْ بَسَاتِين وَعُمْرَانًا، وَهُوَ جَمْع جَنَّة، وَهُوَ أَيْضًا مِنْ الْمُعْجِزَات"[3].

كنوز فارس الروم:

أورد الواقدي أنه "لَمّا كَانَ رَسُولُ ﷺ بِوَادِي الْمُشَقّقِ سَمِعَ حَادِيًا فِي جَوْفِ اللّيْلِ فَقَالَ أَسْرِعُوا بِنَا نَلْحَقُهُ وَرَسُولُ اللّهِ ﷺ يَقُولُ مِمّنْ الْحَادِي، مِنْكُمْ أَوْ مِنْ غَيْرِكُمْ ؟ قَالُوا: بَلَى، مِنْ غَيْرِنَا، قَالَ فَأَدْرَكَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَإِذَا جَمَاعَةٌ فَقَالَ مِمّنْ الْقَوْمُ ؟ قَالَ مِنْ مُضَرَ، قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "وَأَنَا مِنْ مُضَرَ"، فَانْتَسَبَ حَتّى بَلَغَ مُضَرَ، قَالَ الْقَوْمُ نَحْنُ أَوّلُ مَنْ حَدَا بِالإِبِلِ، فَقَالَ النّبِيّ ﷺ وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: بَلَى، إنّ أَهْلَ الْجَاهِلِيّةِ كَانَ يُغِيرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَأُغِيرَ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ فَنَدّتْ إبِلُهُ فَأَمَرَ غُلَامَهُ أَنْ يَجْمَعَهَا، فَقَالَ لاَ أَسْتَطِيعُ فَضَرَبَ يَدَهُ بِعَصًا، فَجَعَلَ الْغُلَامُ يَقُولُ وَايَدَاهُ وَايَدَاهُ وَتُجْتَمَعُ الإِبِلُ فَجَعَلَ سَيّدُهُ يَقُولُ قُلْ هَكَذَا بِالإِبِلِ وَجَعَلَ النّبِيّ ﷺ يَضْحَكُ، وَقَالَ رَسُولُ ﷺ لِبِلاَلٍ: أَلاَ أُبَشّرُكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللّهِ وَهُمْ يَسِيرُونَ عَلَى رَوَاحِلِهِمْ فَقَالَ إنّ اللّهَ أَعْطَانِي الْكَنْزَيْنِ فَارِسَ وَالرّومَ، وَأَمَدّنِي بِالْمُلُوكِ مُلُوكِ حِمْيَرَ، يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَيَأْكُلُونَ فَيْءَ اللّه"[4].

ركوب البحر :

سبق أن ذكرنا تلك الإشارة النبوية إلى ركوب البحر في الغزو، في قوله ﷺ: "اللهم احمل عليها في سبيلك فانك تحمل على القوي والضعيف، والرطب واليابس، في البر والبحر"، وفيه من البشارة ببلوغ فتوح المسلمين البرّ والبحر مالا يخفى.

بشارة نبوية (لكعب بن مالك):

---

(١) المنتقى – شرح الموطأ – (ج ١ / ص ٣٤٠).

(٢) دلائل النبوة للبيهقي – (ج ٥ / ص ٣١٤).

(٣) شرح النووي على مسلم، (ج ٧/ ص ٤٧٩).

(٤) مغازي الواقدي – (ج ١ / ص ١٠١٠).

لما نزلت الآيات بالتوبة على كعب بن مالك ﷺ، قال له رسول الله ﷺ، وهو يبرق وجهه من السرور: "أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك"، قال كعب: أمِنْ عندك يا رسول الله، أم مِنْ عند الله؟ قال: "بل مِنْ عند الله[1] .

بشارة عامة للأمة:

يقول عبد الله بن عمرو بن العاص: "إن رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك قام من الليل يصلي فاجتمع رجال من أصحابه يحرسونه، حتى إذا صلى انصرف إليهم فقال لهم: " لقد أُعطيت الليلة خمساً، ما أعطيهن أحد قبلي، أما أنا فأُرسلت إلى الناس كلهم عامة، وكان من قبلي إنما يُرسل إلى قومه، ونُصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينه مسيرة شهر، وأُحلت لي الغنائم آكلها، وكان من قبلي يعظمون أكلها، كانوا يحرقونها، وجعلت لي الأرض مساجد وطهوراً، أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت، وكان من قبلي يعظمون ذلك، إنما كانوا يصلون في كنائسهم وبيعهم، والخامسة هي ما هي، قيل لي: سل فإن كل نبي قد سأل، فأخرت مسألتي إلى يوم القيامة، فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله"[2].

المطلب الثامن: الأعلام:

ظهرت أسماء أعلام كان لها حضور خاص في هذه الغزوة، وخصوصا من صحابة رسول الله ﷺ، بل بعضهم دفن في هذه الأرض، ومن هؤلاء:

زيد بن سُعْنَةُ ﷺ:

كان من أحبار اليهود ومن أثراهم مالا، أسلم في قصة عجيبة فحسن إسلامه، شهد مشاهد مع رسول الله ﷺ، وتوفي في غزوة تبوك[3]، قال عنه السهيلي: "وَأَمّا سُعْنَةُ بِالنّونِ فَزَيْدُ بْنُ سُعْنَةَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ يَهُودَ كَانَ قَدْ دَايَنَ النّبِيّ – ﷺ – فَجَاءَهُ يَتَقَاضَاهُ قَبْلَ الْأَجَلِ فَقَالَ أَلَا تَقْضِينِي يَا مُحَمّدُ فَإِنّكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطّلِبِ مُطْلٌ وَمَا أَرَدْت إلّا أَنْ أَعْلَمَ عِلْمَكُمْ فَارْتَعَدَ عُمَرُ وَدَارَ كَأَنّهُ فِي فَلَكٍ وَجَعَلَ يَلْحَظُ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَقَالَ تَقُولُ هَذَا لِرَسُولِ اللّهِ يَا عَدُوّ اللّهِ ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إنّا إلَى غَيْرِ هَذَا مِنْك أَحْوَجُ يَا عُمَرُ أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التّبِعَةِ قُمْ فَاقْضِهِ عَنّي، فَوَاَللّهِ مَا حَلّ الْأَجَلُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا بِمَا رَوّعْته وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنّهُ قَالَ دَعْهُ فَإِنّ لِصَاحِبِ الْحَقّ مَقَالًا وَيُذْكَرُ أَنّهُ أَسْلَمَ لَمّا رَأَى مِنْ مُوَافَقَةِ وَصْفِ النّبِيّ عَلَيْهِ السّلَامُ لِمَا كَانَ عِنْدَهُ فِي التّوْرَاةِ، وَكَانَ يَجِدُهُ مَوْصُوفًا بِالْحِلْمِ فَلَمّا رَأَى مِنْ حِلْمِهِ مَا رَأَى أَسْلَمَ، وَتُوُفّيَ

(١) صحيح البخاري، (ج ١٤ / ص ٣٥٥).

(٢) مسند أحمد بن حنبل – (ج ٢ / ص ٢٢٢). تعليق شعيب الأرنؤوط : صحيح وهذا إسناد حسن.

(٣) انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني – (ج ٨ / ص ٢٧٩).

غَازِيًا مَعَ رَسُولِ اللّهِ – ﷺ – فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ"[1].

ذو البجادين ﷺ:

عن عبد الله بن مسعود أنه كان يحدث ويقول: قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله في غزوة تبوك، فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر فاتبعتها أنظر إليها، قال: فإذا رسول الله وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله في حفرته، وأبو بكر وعمر يدليانه، وإذا هو يقول: "أدنيا إليَّ أخاكما" فدلياه إليه، فلما هيأه لشقه قال: "اللهم إني قد أمسيت راضيًا عنه فارض عنه"، قال: يقول ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة[2]، وإنما سمي (ذا البجادين)؛ لأنه كان يريد الإسلام فمنعه قومه وضيقوا عليه، حتى خرج من بينهم وليس عليه إلا بجاد – وهو الكساء [الغليظ]، فشقه باثنين فائتزر بواحدة وارتدى بالأخرى، ثم أتى رسول الله ﷺ فسمي ذا البجادين"[3].

أبو خيثمة ﷺ:

ذكر أصحاب السِيَر أنَّ "أبا خيثمة رجع بعد ما سار رسول الله ﷺ أياما إلى أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه، قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت فيه ماء وهيأت له فيه طعامًا، فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له، فقال: رسول الله ﷺ في الضح والريح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء في ماله مقيم! ما هذا بالنصَف، والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ فهيِّئا زادًا، ففعلتا، ثم قدم ناضحه فارتحله، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق يطلب رسول الله ﷺ، فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لي ذنبًا، فلا عليك أن تخلف عني حتى آتى رسول الله ﷺ، ففعل، حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله ﷺ: "كن أبا خيثمة" فقالوا: يا رسول الله هو والله أبو خثيمة، فلما بلغ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ، فقال له: " أولى لك يا أبا خيثمة!" ثم أخبر رسول الله الخبر فقال خيرًا، ودعا له بخير "[4].

علي بن أبي طالب ﷺ:

"خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب على أهله وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون وقالوا:

---

(١) الروض الأنف – (ج ١ / ص ٣٦٩).

(٢) انظر: حلية الأولياء – (ج ١ / ص ١٢٢).

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن كثير – (ج ٤ / ص ٣٣).

(٤) السيرة النبوية لابن كثير – (ج ٤ / ص ١٣).

ما خلفه إلا استثقالاً له وتخففًا منه، فلما قالوا ذلك أخذ عليٌّ سلاحه ثم خرج حتى لحق برسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف فأخبره بما قالوا، فقال: "كذبوا، ولكني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك" أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدى "، فرجع عليٌّ ومضى رسول الله ﷺ في سفره[1].

أبو ذر الغفاري ﷺ:

عن عبد الله بن مسعود قال: لما سار رسول الله ﷺ إلى تبوك جعل لا يزال الرجل يتخلف فيقولون: يا رسول الله تخلف فلان، فيقول: "دعوه، إن يك فيه خيرًا فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه "، حتى قيل: يا رسول الله تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره، فقال: "دعوه إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه"، فتلوم أبو ذر بعيره، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره، ثم خرج يتبع رسول الله ﷺ ماشيًا، ونزل رسول الله في بعض منازله ونظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل ماش على الطريق، فقال رسول الله ﷺ: "كن أبا ذر" فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله هو والله أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ: "يرحم الله أبا ذر! يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده"، قال فضرب [الدهر] ضربه، وسير أبو ذر إلى الربذة، فلما حضره الموت أوصى امرأته وغلامه فقال: إذا مت فاغسلاني وكفناني من الليل، ثم ضعاني على قارعة الطريق فأول ركب يمرون بكم فقولوا: هذا أبو ذر، فلما مات فعلوا به كذلك، فاطلع ركب فما علموا به حتى كانت ركابهم تطأ سريره، فإذا ابن مسعود في رهط من أهل الكوفة فقال: ما هذا؟ فقيل: جنازة أبى ذر، فاستهل ابن مسعود يبكي وقال: صدق رسول الله: "يرحم الله أبا ذر، يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده!" فنزل فوليه بنفسه حتى أجنه[2].

(قصة مخشن بن حمير):

قالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: "وَقَدْ كَانَ رَهْطٌ مِنْ الْمُنَافِقِينَ مِنْهُمْ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ، أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَمَعَهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَشْجَعَ حِلْفٌ لِبَنِي سَلِمَةَ يُقَالُ لَهُ مُخَشّنُ بْنُ حُمَيّرٍ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَال: مَخْشِيّ - يُشِيرُونَ إلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ إلَى تَبُوكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَتَحْسَبُونَ جِلَادَ بَنِي الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا؟ وَاَللّهِ لَكَأَنّا بِكُمْ غَدًا مُقَرّنِينَ فِي الْحِبَالِ إرْجَافًا وَتَرْهِيبًا لِلْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ مُخَشّنُ بْنُ حُمَيّرٍ: وَاَللّهِ لَوَدِدْت أَنّي أُقَاضِيَ عَلَى أَنْ يُضْرَبَ كُلّ رَجُلٍ مِنّا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَأَنْ نَنْفَلِتَ أَنْ يَنْزِلَ فِينَا قُرْآنٌ لِمَقَالَتِكُمْ هَذِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ - فِيمَا بَلَغَنِي - لِعَمّارِ بْنِ يَاسِرٍ: " أَدْرِكْ الْقَوْمَ فَإِنّهُمْ قَدْ احْتَرَقُوا،

(١) السيرة النبوية لابن كثير - (ج ٤ / ص ١٢).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (ج ١٠ / ص ١٦٢)، وقال: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

فَسَلْهُمْ عَمّا قَالُوا، فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ بَلَى، قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا "، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِمْ عَمّارٌ فَقَالَ ذَلِكَ لَهُمْ فَأَتَوْا رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ فَقَالَ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ، وَرَسُولُ اللّهِ ﷺ وَاقِفٌ عَلَى نَاقَتِهِ فَجَعَلَ يَقُولُ وَهُوَ آخِذٌ بِحَقَبِهَا: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنّمَا كُنّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنّ إِنّمَا كُنّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التّوْبَةُ: ٦٥]، وَقَالَ مُخَشّنُ بْنُ حُمَيّرٍ: يَا رَسُولَ اللّهِ قَعَدَ بِي اسْمِي وَاسْمُ أَبِي، وَكَأَنّ الّذِي عُفِيَ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُخَشّنُ بْنُ حُمَيّرٍ، فَتَسَمّى عَبْدَ الرّحْمَنِ وَسَأَلَ اللّهَ تَعَالَى أَنْ يَقْتُلَهُ شَهِيدًا لَا يُعْلَمُ بِمَكَانِهِ فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ [1].

البكاؤون:

"وَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ قَالَ: بَلَغَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَنّ الرّومَ قَدْ جَمَعَتْ جُمُوعًا كَثِيرَةً بِالشّامِ، وَأَنّ هِرَقْلَ قَدْ رَزَقَ أَصْحَابَهُ لِسَنَةٍ وَأَجْلَبَتْ مَعَهُ لَخْمٌ وَجُذَامٌ وَعَامِلَةُ وَغَسّانُ وَقَدّمُوا مُقَدّمَاتِهِمْ إِلَى الْبَلْقَاءِ، وَجَاءَ الْبَكّاؤونَ – وَهُمْ سَبْعَةٌ– يَسْتَحْمِلُونَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ فَقَالَ: "لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ"، فَتَوَلّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنْ الدّمْعِ حَزَنًا أَنْ لا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ، وَهُمْ سَالِمُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَعُلْبَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَأَبُو لَيْلَى الْمَازِنِيّ، وَعَمْرُو بْنُ عَنَمَةَ، وَسَلَمَةُ بْنُ صَخْرٍ، وَالْعِرْبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ، وَفِي بَعْضِ الرّوَايَاتِ: وَعَبْدُ اللّهِ بْنُ مُغَفّلٍ، وَمَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: الْبَكّاؤونَ بَنُو مُقَرّنٍ السّبْعَةُ، وَهُمْ مِنْ مُزَيْنَةَ وَابْنُ إِسْحَاقَ: يُعَدّ فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ الْحُمَامِ بْنِ الْجَمُوحِ، وَأَرْسَلَ أَبَا مُوسَى أَصْحَابُهُ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ لِيَحْمِلَهُمْ، فَوَافَاهُ غَضْبَانُ؛ فَقَالَ: "وَاَللّهِ لاَ أَحْمِلُكُمْ، وَلاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ"، ثُمّ أَتَاهُ إِبِلٌ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ ثُمّ قَالَ: "مَا أَنَا حَمَلْتُكُمْ، وَلَكِنّ اللّهَ حَمَلَكُمْ، وَإِنّي وَاَللّهِ لا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا؛ إلاّ كَفّرْتُ عَنْ يَمِينِي وَأَتَيْتُ الّذِي هُوَ خَيْرٌ"[2].

أَبُو رُهْمٍ (كُلْثُومَ بْنَ الْحُصَيْنِ)

يقول أبو رهم الغفاري: "غَزَوْت مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَسِرْت ذَاتَ لَيْلَةٍ مَعَهُ وَنَحْنُ بِالأَخْضَرِ قَرِيبًا مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَأَلْقَى اللّهُ عَلَيْنَا النّعَاسَ فَطَفِقْت أَسْتَيْقِظُ وَقَدْ دَنَتْ رَاحِلَتِي مِنْ رَاحِلَةِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَيُفْزِعُنِي دُنُوّهَا مِنْهُ مَخَافَةَ أَنْ أُصِيبَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ، فَطَفِقْت أَحُوزُ رَاحِلَتِي عَنْهُ حَتّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي فِي بَعْضِ الطّرِيقِ وَنَحْنُ فِي بَعْضِ اللّيْلِ فَزَاحَمَتْ رَاحِلَتِي رَاحِلَةَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَرِجْلُهُ فِي الْغَرْزِ، فَمَا اسْتَيْقَظْت إلاّ بِقَوْلِهِ: "حَسّ"، فَقُلْت: يَا رَسُولَ اللّهِ، اسْتَغْفِرْ لِي، فَقَالَ: "سِرْ "، فَجَعَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَسْأَلُنِي عَمّنْ تَخَلّفَ عَنْ بَنِي غِفَارٍ، فَأُخْبِرُهُ بِهِ فَقَالَ وَهُوَ يَسْأَلُنِي: "مَا فَعَلَ النّفَرُ الْحُمْرُ الطّوَالُ الثّطَاطُ؟"، فَحَدّثْته بِتَخَلّفِهِمْ، قَالَ: "فَمَا فَعَلَ النّفَرُ السّودُ الْجِعَادُ الْقِصَارُ؟"، قَالَ: قُلْت: وَاَللّهِ مَا أَعْرِفُ هَؤُلاَءِ مِنّا، قَالَ:

(١) (الروض الأنف) ٤/٣٠٠.

(٢) زاد المعاد – (ج ٣ / ص ٤٦٠).

"بَلَى، الّذِينَ لَهُمْ نَعَمٌ بِشَبَكَةِ شَدَخٍ؛ فَتَذَكّرْتهمْ فِي بَنِي غِفَارٍ، وَلَمْ أَذْكُرْهُمْ حَتّى ذَكَرْت أَنّهُمْ رَهْطٌ مِنْ أَسْلَم كَانُوا حُلَفَاءَ فِينَا"، فَقُلْت: يَا رَسُولَ اللّهِ، أُولَئِكَ رَهْطٌ مِنْ أَسْلَمَ، حُلَفَاءُ فِينَا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "مَا مَنَعَ أَحَدَ أُولَئِكَ حِينَ تَخَلّفَ أَنْ يَحْمِلَ عَلَى بَعِيرٍ مِنْ إبِلِهِ امْرَأً نَشِيطًا فِي سَبِيلِ اللّهِ؟ إنّ أَعَزّ أَهْلِي عَلَيّ أَنْ يَتَخَلّفَ عَنّي الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارُ وَغِفَارٌ وَأَسْلَمُ"[1].

زيد بن ثابت ﷺ:

كانت راية بني مالك بن النجار في تبوك مع عمارة بن حزم فأدركه رسول الله ﷺ فأخذها منه فدفعها إلى زيد بن ثابت، فقال عمارة: يا رسول الله، بلغك عني شيء ؟ قال: "لا، ولكن القرآن يقدم، وكان زيد أكثر أخذا منك للقرآن"[2].

عَامِرَ بن مَالِكٍ (ملاعب الأسنة):

عَنِ بن كَعْبِ بن مَالِكٍ، أَنَّ عَامِرَ بن مَالِكٍ الَّذِي كَانَ يُقَالُ لَهُ: مُلاعِبُ الأَسِنَّةِ، قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، بِتَبُوكٍ فَعَرَضَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ الإِسْلامَ، فَأَبَى، وَأَهْدَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:"إِنَّا لا نَقْبَلُ هَدِيَّةَ مُشْرِكٍ"ثُمَّ قَالَ: ابْعَثْ مَنْ شِئْتَ إِلَى أَهْلِ نَجْدٍ، فَإِنِّي لَهُمْ جَارٌ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَهْطًا، فِيهِمُ الْمُنْذِرُ بن عَمْرٍو وَهُوَ الَّذِي كَانَ، يُقَالُ لَهُ: أَعتقَ لِمَوتَ"[3].

فروة بن عمرو الجذامي

عن ابن إسحاق، قال: "وبعث فروة بن عمرو بن النافرة الجذامي إلى رسول الله ﷺ رسولا بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء، وكان فروة عاملاً للروم على من يأتيهم من العرب، وكان منزله معان وما حوله من أرض الشام، فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم، فلما اجتمعت الروم لصلبه على ماء لهم يقال له عفرى بفلسطين، فقال:

ألا هل أتى سلمى بأن حليلها ... على ماء عفرى فوق إحدى الرواحل

على بكرة لم يضرب الفحل أمّها ... مشذبة أطرافها بالمناجل

قال ابن إسحاق: "وزعم الزهري أنهم لما قدموه ليقتلوه ، قال: بلّغ سراة المؤمنين بأنني سلم لربي أعظمي ومقامي، ثم ضربوا عنقه على ذلك الماء"[4].

---

١ - الروض الأنف - (ج ٤ / ص ٣٠٤)

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم - (ج ١٣ / ص ٢٦٠)، أما قصة وفاة معاوية الليثي: فيقول حسين سليم أسد عن حديثها: إسناده ضعيف جداً.

(٣) المعجم الكبير للطبراني - (ج ١٣ / ص ٤٢٦).

(٤) دلائل النبوة للبيهقي - (ج ٦ / ص ٩).

الخاتمة:

لعلنا بعد هذه الدراسة التي جعلت الزمان والمكان وما حويا ميدانا لها نخرج بالآتي:

١ – أهمية هذه الغزوة في تاريخ المنطقة لكونها الحدث الأظهر في ذلك منذ بزوغ فجر الإسلام حتى اليوم.

٢ – كثرة الأحداث والوقائع والوثائق التي احتواها زمن ومكان الغزوة.

٣ – امتداد زمان الغزوة، وبعد مكانها، وما أحاط بذلك من صعوبات ومشاق .

٤ – الوصف المطول في القرآن للغزوة، والتفصيل النبوي في أحداثها .

كل هذا يجعلنا نطالب من هذا الملتقى الذي نظمه النادي الأدبي بتبوك بدراسة لكل جوانب هذه الغزوة، ولعل المراكز العلمية وعلى رأسها جامعة تبوك تقوم بهذا الأمر، ويمكن أن تفرد دراسات متعددة تتصل بالغزوة مثل:

أ – عمل المعجم الجغرافي للأمكنة المذكورة مع الغزوة وتحديد أماكنها على الطبيعة وتصويرها وتوثيقها.

ب –معجم أعلام الغزوة المذكورين فيها والترجمة لهم.

ت –معجم أحاديث الغزوة وتخريجها.

ث –البشارات النبوية للمنطقة واستشراف مستقبلها الزراعي والبيئي.

ج –دراسة الغزوة من خلال النص القرآني الواصف لها.

ح –جمع الأحكام الواردة في الغزوة وتحريرها.

خ –جمع الأشعار والأقوال المؤثرة التي قيلت في الغزوة.

د –دراسة المعاهدات والكتب والرسائل التي أرسلت وكتبت أثناء الغزوة .

ذ –جمع المعجزات والخوارق التي ظهرت في هذه الغزوة ومعرفة دلالاتها.

مراجع البحث

١. الأثر والدلالات الإعلامية لرسائل النبي ﷺ إلى الملوك والقادة، أحمد محمد العقيلي، (مطابع خزام، الرياض، ط(١) ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م).

٢. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، الدار الجماهيرية.

٣. روح المعاني، شهاب الدين محمود الألوسي، دار الفكر بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

٤. تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن، للسعدي، تحقيق د. عبد الرحمن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ.

٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ،١٩٨٨م.

٦. جامع الأصول في أحاديث الرسول ، ابن الأثير الجزري، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، ١٣٩٢هـ،١٩٧٢م.

٧. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، (دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥).

٨. دلائل النبوة لأبي نعيم، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: محمد قلعه جي وعبد البر عباس، (دار النفائس، بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).

٩. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للبيهقي، (دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

١٠. الرحيق المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (ط ١/ ١٤٠٥ هـ) .

١١. الروض الأنف، للسهيلي، ترجمة، تحقيق: مجدي بن منصور بن سيد الشوري، (دار الكتب العلمية، ١٩٩٧/٠١/٠١).

١٢. زاد المعاد في هدي خير العباد: للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ).

١٣. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، لابن القيم الجوزية، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

١٤. سرايا رسول الله ﷺ، أبو تراب الظاهري (مطبوعات تهامة، جدة، ط (١) ١٤٠٤، ١٩٨٤، ٤٨١).

١٥. سنن أبي داود أبو سليمان السجستانى ، (بيروت، دار الجنان، (ط١) ، ١٤١٩ هـ).

١٦. سنن الترمذي، للترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، (دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٩٨م).
١٧. السيرة النبوية، لابن هشام، قدم له و علق عليها و ضبطها طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة ومطبعة الحاج عبد السلام، ١٩٧٤ م).
١٨. السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة (قراءة جديدة)، أحمد الصوياني (مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤).
١٩. السيرة النبوية، لابن كثير (دار المعرفة، بيروت، ١٣٦٩هـ و ط ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م).
٢٠. شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني، تحقيق حمد عبد العزيز الخالدي، (دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤١٧، ١٩٩٦م).
٢١. شرح النووي على صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط٢) ، ١٣٩٢هـ).
٢٢. صحيح ابن حبان، لابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م).
٢٣. صحيح ابن خزيمة: لمحمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م).
٢٤. صحيح البخاري، البخاري (دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م) .
٢٥. صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي بيروت، ط بدون) .
٢٦. المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي، (مكتبة العلوم والحكم – الموصل، ط٣ ، ١٤٠٤ – ١٩٨٣).
٢٧. موارد الظمآن، لنور الدين الهيثمي، (دار الثقافة العربية، ١٤١٢هـ. ١٩٩٢م).
٢٨. الغزوات النبوية المطهرة من وجهة نظر فن الحرب، العميد الركن/ إبراهيم إسماعيل كاخيا، (دار حسان للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٣، ١٩٩٣م).
٢٩. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، تعليق الشيخ/ ابن باز، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج/ محب الدين الخطيب (مكتبة دار الفيحاء، دمشق، ط بدون).
٣٠. في ظلال القرآن، لسيد قطب، (دار الشروق بيروت ، القاهرة، ط٢١، ١٤١٤هـ١٩٩٣م).
٣١. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتقي الهندي، مؤسسة الرسالة ،بيروت ١٩٨٩ م
٣٢. مختصر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الألباني، (بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م).

٣٣. المستدرك، للحاكم ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م).
٣٤. مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، (دمشق: دار المأمون للتراث، (ط١) ، ١٤٠٤ —١٩٨٤).
٣٥. المسند ، للإمام أحمد، (مؤسسة قرطبة، مصر، ط بدون).
٣٦. مسند البزار، (مؤسسة علوم القرآن بيروت).
٣٧. مسند الشاميين للطبراني (مؤسسة الرسالة. بيروت سنة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م).
٣٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي، (المطبعة الأميرية بالقاهرة، ط بدون، ١٩٢٦م)
٣٩. المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية، لمحمد حسن شراب، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع تاريخ النشر١٩٩١م.
٤٠. المعجم الأوسط للطبراني (دار الحرمين للطباعة سنة ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م).
٤١. معجم البلدان، لياقوت الحموي، (دار الفكر – دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٩م).
٤٢. المعجم الكبير للطبراني (مطبعة الأمة في بغداد) و (نشر مكتبة ابن تيمية) و (دار إحياء التراث العربي).
٤٣. معجم لغة الفقهاء ، د . محمد قلعجي وزميله ، (ط٢) (دار النفائس، بيروت، ١٤٠٨هـ).
٤٤. معرفة الصحابة، لأبي نُعيم الأصبهاني، تحقيق عادل يوسف العزازي، نشر دار الوطن، الرياض ١٤١٩).
٤٥. المغازي، لمحمد بن عمر الواقدي، تحقيق: مارسدن،(عالم الكتب، (ط٣)، ١٤٠٤هـ).
٤٦. المنتقى شرح موطأ مالك المؤلف : للباجي المحقق : محمد عبد القادر أحمد عطا الناشر : دار الكتب العلمية .
٤٧. المواهب اللدنية، للقسطلاني ٦٢٥/١، وحاشية خلاصة سير سيد البشر ﷺ، الطبري، تحقيق د. زهير الخالد (وزارة الأوقاف القطرية، ط٢، ١٤٢٥هـ) .
٤٨. موسوعة القرآن الكبرى (غزوة تبوك)، محمد أحمد باشميل، (المكتبة السلفية، القاهر، ط ٣، ١٤٠٨، ١٩٨٨) .
٤٩. النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير ، تحقيق : طاهر الزاوي ، ومحمود الطناحي ، ٠ المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م) .
٥٠. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني الحنفي، دار الفكر .

فهرس الموضوعات

مقدمة: ١-٣

المبحث الأول: دلالة الزمان: ٤-٩

المطلب الأول: وقت الغزوة: ٤

المطلب الثاني: تاريخ الغزوة: ٧

المطلب الثالث: مدة الغزوة: ٧

المبحث الثاني: دلالة المكان: ١٠-١٨

المطلب الأول: مسافة الغزوة: ١٠

المطلب الثاني: موقع الغزوة (تبوك): ١١

المطلب الثالث: الأمكنة المذكورة في الغزوة: ١٣

المبحث الثالث:محتوى الزمان والمكان: ١٩-٤٥

المطلب الأول: الآيات القرآنية: ٢٠

المطلب الثاني: الأحاديث النبوية والخطب: ٢١

المطلب الثالث: المعاهدات والكتب والرسائل: ٢٤

المطلب الرابع: المعجزات والخوارق: ٢٨

المطلب الخامس: الأحكام الشرعية: ٣٤

المطلب السادس: الأشعار: ٣٨

المطلب السابع: البشائر النبوية: ٤٠

المطلب الثامن: الأعلام: ٤٢

الخاتمة: ٤٦

مراجع البحث: ٤٨